عادات وتقاليد الشعوب العربية والأفريقية

محي صبحي

صلاح عبد الحميد

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب :عادات وتقاليد الشعوب العربية والأفريقية

المؤلـــــف : محى صبحى

الناشــــــر : مؤسسة دار الفرسان

تصميم الغلاف: فرى برنت-

رقم الإيداع : 9775/ 2011

طبعة أولى : 2011

فهرسة أثناء النشر

محي صبحى

عاات وتقاليد الشعوب العربية والأفريقية / إعداد محى صبحى – القاهرة .- ط1

مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع

160ص ؛ 24 سم

تدمك : 977-6169-48-6

1 – العادات

أ. العنوان 390

آية قرآنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ
إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم

طه 114

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كثيرا ما نرى ونسمع عن عادات اجتماعية متوارثة من الأجداد والإباء الى الأبناء في مجتمعنا بحيث باتت لا يمكن أن نحيد عنها أو نتجنبها مهما بلغنا من الثقافية والرقي ، ومن هذه العادات الشائعة وضع سكينة مع المرأة النفساء او تعليق خرزة او سن ثعلب او هره في ثوب الوليد خوفا من الخطف والنظرة واذا خيف على الرجل من الجنون يعلقون الأقذار وعظام الموتى على صدره واذا كنت في سفر ورأيت ضبا فيجب ان تتمهل ولا تواصل المسير حالا لان ذلك مصدر شؤم كما اذا نويت على امر وصادف ان عطس شخص قريب منك فيجب عليك ان تستثني عن هذا الأمر . ان رؤية الأرنب أثناء السفر يعتبر مصدر شؤم وفال سيء على المسافر .

لقد اعتقد الكثير من الناس ان بعض الطيور لها علاقة بالتشاؤم وهذا الطير هو البومة التي تمثل الخراب والفساد والموت ، كما ان اليد اليمنى للذئب تشفي المرض الذي لا طب له وجزء من رجله اليسرى اذا حملت مع شخص فسيكون لا يرد لهذا طلبا عند السلطان كما ان أكل قلبه (الذئب) تورث الشجاعة والأقدام ممن يعانون الجبن والهزيمة ، وكان العرب قديما يقولون اذا أراد شخص دخول مدينة غريبة وتوجس الوباء فعليه ان يقف على بابها وينهق كالحمار ، ولازال الاعتقاد ان عتبة الدار عامل مهم في سعادة الساكن او شقاءه ، والدار المتروكة تسكنها الجن خاصة اذا كانت مظلمة ليلا ، كما هناك البعض يعتقد ان رؤية أول شخص يصادفك في الصباح أيضا مصدر شؤم او سعادة ... هذه بعض العادات المنتشرة والذائعة الصيت .

ان الأصل في هذه العادات لم يكن قد ولد من فراغ بل كان من نتاج الشعوب التي كانت على اتصال وتواصل مع العرب عبر الآلاف من السنين كالرومان والفرس والهنود او نتيجة التجربة والتجريب التي أفرزتها معاناة الحياة اليومية عند العرب لاسيما تميز أجدادنا عن غيرهم من الشعوب بدقة الملاحظة للظواهر وإمكانية تفسيرها وفق منهج استدلالي حيث أشارت المصادر التاريخية ان الفراعنة كانوا يتبركون بالخرز والأحجار الكريمة وبعضه كان مصدر شؤم وتعاسة عندهم وجاء الدين الإسلامي ليؤكد هذا الاعتقاد بالنسبة للعقيق اليماني والرضوي والدر عبر أحاديث شريفة للنبي الكريم وأهل بيته الأطهار وباقي السلف الصالح فأول من تختم بالعقيق هو نبي الله ادم .

يمكن تفسير وضع السكينة عند المرأة النفساء خوفا من صوت الطير الذي يتشاءم العرب منه فقد يخطف الطفل او يهلكه وما السكينة إلا تعبير كحاجز مخيف للطير وحتى الجن.

من هنا جاء هذا الكتاب لتفسير بعض العادات والتقاليد لدى الشعوب العربية والأفريقية ولمعرفة أهم هذه العادات والتقاليد لديهم

المؤلف

العادات والتقاليد

Customs and Traditions

أولاً: العادات

العادة بالمعنى اللغوي العربي هي "كل ما أعتيد حتى صار يفعل من غير جهد، وأصبح يتكرر على نهج واحد". والعادي هو العتيق، مثلما يقال: مجدي عادي أي عتيق.

وتعني كلمة "العادة" في اللغة الإنجليزية، نمط السلوك المكتسب بالتكرار أو التعود أو الاستعمال المتكرر.

تعني العادة بالمعنى اللغوي الأنماط السلوكية المكتسبة عن طريق التعود والتكرار، في حين تَعرف العادة في القواميس الاجتماعية المتخصصة بأنها صورة من صور السلوك الاجتماعي، استمرت فترة طويلة من الزمان واستقرت في مجتمع معين، وأصبحت راسخة واصطبغت إلى حد ما بالصبغة الرسمية. والعادات الجمعية هي أساليب للفكر والعمل ترتبط بجماعة فرعية أو بالمجتمع بأسره. ويقترب من التعريف اللغوي تعريفي ميشيل Mitchel للعادات بوصفه اصطلاح يشير إلى أشكال التفكير والسلوك المستقر، الذي يقوم به الفرد في المجتمع. ويستعمل هذا الاصطلاح من قبل علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية لوصف التصرفات الروتينية للحياة اليومية، أو الأحكام الداخلة ضمن الروتين، أو النماذج الحضارية المستمدة من التصرفات المتكررة، أو الطبيعة المميزة للكل الحضاري.

العادات ظاهرة اجتماعية تتعلق بأفعال الناس، ويشتق وجودها من الفطرة الاجتماعية، فهي ضرورة اجتماعية تصدر عن المجتمع. وهي تلقائية لا تصدر عن سلطة معينة تصنعها وتنفذها وتسهر عليها، وإنما دعاماتها قبول الناس لها.

فنحن، مثلاً، عندما نلقي السلام والتحية أو نصافح بالأيدي عند لقائنا ببعضنا بعضاً، أو عندما نتبادل خطابات وبرقيات التهاني والمواساة، وعندما نحتفل بالأعياد والمواسم والموالد وما إلى ذلك، فكل هذه الأفعال تلقائية لا توجد سلطة رسمية تفرضها علينا، وإنما تدفعنا إلى ممارستها سلطة المجتمع القائمة على قبول الناس لها.

من ذلك يتبين أن العادات هي مظاهر سلوكية متفق عليها بين أفراد المجتمع، وتنقسم إلى:

1. عادات فردية سلوكية

وهي ما يطلق عليها كلمة Customs، وهي أنماط سلوكية متكررة يتصرف الفرد بمقتضاها على نحو خاص، حتى تصبح ممارسته لها لا شعورية، ولا يمثل الخروج عليها ضرراً للمجتمع. وهي في الأغلب الأعم متعلقة بإشباع حاجات الفرد البيولوجية من مأكل ومشرب وملبس، مثل تناول بعض المشروبات في أوقات معينة وبطريقة خاصة، كتناول القهوة مع اللبن صباحاً، أو القهوة مع التدخين، أو طريقة استخدام أدوات الأكل، أو طريقة طهي الطعام.

2. عادات جمعية أو جماعية شائعة Common habits

وهي القواعد السلوكية المتكررة، التي ترجع إلى المجتمع الذي يعيش فيه الفرد. وتستند هذه القواعد السلوكية إلى فكر اجتماعي، وبكثرة تكرارها تصبح أنماطاً سلوكية. وهي تنتشر أفقياً عن طريق التجاور والاختلاط، ورأسياً عبر فترة تاريخية طويلة، وتصبح ممارستها ثابتة مستقرة، ومن الصعب التخلص منها؛ ومثال ذلك عادات التحية وآداب المائدة، وآداب المجاملة المختلفة، وطرق تناول الطعام، وطرق الخطبة والزواج، وطرق تمثيل الأسرة في المجالس والتنظيمات الاجتماعية.

والفرق بين العادات الجمعية والعادات الفردية، هي أن الأخيرة أسلوب فردي وظاهرة شخصية. والدليل على ذلك أنه يمكن أن تتكون العادة الفردية وتُمارس في حالات العزلة عن المجتمع لسبب أو لآخر، كما في حالات الأطفال الذئاب وغيرهم. ويكاد الإنسان أن يكون مجموعة من العادات تمشي على الأرض، وأن قيمته تعتمد كثيراً على عاداته. فطريقة الشخص في ملبسه ونظافته وكلامه ومشيه وأكله وشربه وما شابه ذلك، كلها عادات فردية تسهم في تقييم الفرد وتحدد درجة نجاحه في الحياة.

أما العادات الجمعية فظاهرة اجتماعية تمثل أسلوباً اجتماعياً، بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتَمارس إلاّ في الحياة الاجتماعية في المجتمع، وأثناء التفاعل بين أفراده وجماعاته. ومن أهم الخصائص المميزة للعادات الجمعية، ما يتصل بها من جزاء اجتماعي توقعه الجماعة على مخالفيها. أما العادات الفردية فلا تحتاج إلى هذا الجزاء الاجتماعي.

وتنشأ العادات الاجتماعية في عقول الناس، وتتجسد في أفعال أعضاء الجماعة، وتنتشر عن طريق التقليد تدريجياً أو عن طريق المحاولة والخطأ. وبمرور الوقت تكتسب العادات الجمعية قوة التقاليد، لأنها تمثل طرقاً مألوفة للإنسان في عمل الأشياء، وظاهرة جوهرية لمعيشة الناس بعضهم مع بعض، إلا أنها تربط فيما بينهم في الوقت الحاضر وتلقنهم تجربة الماضي؛ لأنها تنحدر إليهم من جيل إلى آخر بوصفها الطريقة الصحيحة التي يجب إتباعها.

من ذلك يتضح أن العادات الاجتماعية تعمل على استقرار المجتمع بما تفرضه من جزاء اجتماعي يقع على الفرد المخالف لها؛ ولذلك فهي من العوامل الجوهرية في الضبط الاجتماعي.

بناء على هذا يمكن تعريف العادات الاجتماعية بأنها الأنماط السلوكية المتكررة والمكتسبة اجتماعياً، والتي تفرضها الجماعة على الأفراد، ويتوقع منهم أن يتبّعوها وإلاّ تعرضوا للجزاء الاجتماعي، الذي توقعه الجماعة على مخالفيها، سواء بالاستياء أو الاستهجان أو النفور والانتقام، حتى يهتدي بها الناس وتسهل معيشتهم مع بعضهم.

إن بعضاً من هذه العادات يكون إيجابياً ومفيداً ونافعاً للحياة الاجتماعية، إذ يؤدي إلى تعزيز وحدة المجتمع وتوثيق العلاقات بين الأفراد والمجتمع، ويمكنهم من قضاء حاجاتهم في يسر وسهولة تامة.

ثانياً: التقاليد

تعني التقاليد Traditions لغوياً العادات المتوارثة، التي يقلد فيها الخلف السلف. وفي اللغة الإنجليزية تعني الرأي أو العادة المتوارثة من السلف إلى الخلف، أو الممارسة عريقة القدم Long Established.

وإذا كانت التقاليد تعني لغوياً الأنماط السلوكية المتوارثة من السلف إلى الخلف، فإنها في معجم العلوم الاجتماعية تعني طرائق للسلوك مستقلة في وجودها عن الفرد، وتفرض نفسها عليه وتعين على تقوية الشعور الجمعي وتحقيق الاندماج التام بين عناصر المجتمع. إنها صنع الماضي ودعامة الحاضر؛ فهي حصيلة التجربة العملية للمجتمع، ومقياس مهم للنظم والقيم الاجتماعية، فيها ثقافة وحضارة، وعلم وحكمة. يقدسها الناس، عادة، حتى وإن بدا فيها ما لم يفهم سببه وما لا يقره العقل تماماً، وهي عنصر مهم في السلوك والتربية.

وتمتاز التقاليد بأمور ثلاثة: الاستقرار والاستمرار والاحترام، فهي ثروة خالدة من ثروات المجتمع، تبسط سلطانها وتستنكر كل تصرف خارج عليها، وعليها تقوم الشرعية التي يضيفها الناس على أفعالهم.

وتعني التقاليد كذلك في قاموس علم الاجتماع: أنها نمط سلوكي يتقبله المجتمع عموماً دون دوافع أخرى، عدا التّمسك بنسق الأسلاف. ويربط بعض الدارسين بين التقاليد والعادات من حيث أن التقاليد تمثل العادات التي فقدت مضمونها وصوتها، وإنما يحتفظ بها الإنسان كأسم فقط يطلق على مضمون جديد. وخلافاً لذلك يرى بعض الدارسين أن التقاليد والعادات هما شيء واحد؛ لأنهما جزء من التراث الثقافي الذي يحافظ عليه المجتمع.

وهكذا يتضح أن التقاليد تتصف بخاصية التوارث من جيل إلى جيل، والرغبة في التمسك بها، بل والالتزام بها لأنها تأتينا من أسلافنا وآبائنا الذين يورثوها إلينا بوصفها نافعة ومفيدة وصحيحة. والتقاليد عادات نافعة لأنها ترشد الناس بطريقة سهلة ومريحة إلى جميع طرق التصرف الصائبة والمناسبة في مختلف أمور حياتهم، وبذلك تهيئ لهم الحياة والعمل المشترك دون إعاقة أو اضطراب. ويرجع ذلك إلى أنها:

1 . تمدهم بمجموعة من الأنماط السلوكية الجاهزة والمعدة من قبل لكي يتبعوها، لتسهل عليهم تحقيق حاجاتهم الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن وتناسل، وبذلك يستطيعون المحافظة على بقائهم واستمرارهم.

2. تضع لهم القوانين والنظم وترسم لهم الأساليب والتصرفات، التي تتيح لهم التعاون والتفاعل مع بعضهم، وتعلمهم كيف يتكيفون مع المواقف البيئية المختلفة، وكيف يستجيبون لهذه المواقف استجابة موحدة، تجنّبهم الصراع والفُرقة وتحافظ على تماسكهم.

إن تكرار التقاليد بين أعضاء المجتمع وتوارثها من جيل إلى جيل، أو من السلف إلى الخلف، يضفي عليها احتراماً وتقديساً كبيرين يزيدان من رسوخها وقوة تأثيرها واستقرارها على مر الزمن من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى آخر. والإنسان أمام قوة التقاليد مغلوب على أمره، لا يستطيع أن يتصرف بمحض إرادته وحرية اختياره؛ فما هو معتاد دائماً يكون محبباً ومرضياً عنه ومقبولاً من جميع أعضاء المجتمع.

يتضح مما سبق أن التقاليد هي مجموعة من القواعد السلوكية الاجتماعية، التي ارتضاها المجتمع، وهي تنتشر انتشاراً رأسياً (أي من الماضي إلى الحاضر) لتصبح تقليداً يتوارثه الخلف عن السلف. وتوصف التقاليد بأنها أقوى في إلزامها من العادات الجمعية لرسوخها؛ لأنها ذات قواعد قوية في تأثيرها على الآخرين ولاستحسانهم لها، ولأنها مريحة وتقدم للناس الشعور بالأمن والطمأنينة.

ويتمثل الاختلاف بين العادات والتقاليد في أن العادات الاجتماعية أنماط سلوكية ألفها الناس وارتضوها، ويسيرون على هديها ويتصرفون بمقتضاها دون التفكير فيها. وهي تختلف من مجتمع لآخر وفقاً لظروفه وخصائصه وسماته التي تميزه. أما التقاليد، فهي أنماط سلوكية ألفها الناس وتوارثوها ويشعرون نحوها بقدر كبير من الاحترام، ولا يفكرون في العدول عنها أو تغييرها.

أهمية العادات الاجتماعية ووظائفها

تؤدي العادات الاجتماعية وظائف متنوعة ومتكاملة في الوقت نفسه كالوظيفة الاقتصادية والإرشادية والتوجيهية وهي بهذه الوظائف تلعب دوراً هاماً في نشأة النظم الاجتماعية واستقرارها ومظاهر السلوك تعتبر العناصر الأولى التي ترتبط بعضها ببعض في شكل أنماط تقوم بينها علامات عملية أو منطقية تؤلف النم فالزواج والعائلة والرئاسة والملكية نظم اجتماعية يتضمن كل منها قواعد ومعايير تحد نوع السلوك والتصرفات التي يجب أن يتبعها الأشخاص الذين يدخلون أطرافاً في ذلك النظام

وعلى هذا لا يمكن تصور وجود المجتمع بدون عادات اجتماعية لأن العادات الاجتماعية ضرورة اجتماعية لتنظيم معاملات الأفراد وضبط علاقاتهم بعضهم ببعض فهي وسيلة من أهم وسائل استقرار المجتمع والمحافظة على كيانه وسلامة بنيانه

ولهذا تعتبر العادات الاجتماعية جزءاً أصيلاً في حياتنا الاجتماعية وفضلاً عن ذلك فعادات الاجتماعية هي صلة بالناس تشبه صلة الملك بالمحكومين فالعادات الاجتماعية تخلق ألواناً حسنة من النظام في المجتمع تؤدي إلى الاستقرار الاجتماعي .

وظائف العادات :

1- وظيفة العادات في الإرشاد :

العادات الاجتماعية تقدم للفرد أساليب عامة للسلوك معدة من قبل خلال التاريخ الاجتماعي للجماعة يتلقاها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي ، وخلال عملية التنشئة الاجتماعية عموماً يتشرب الفرد كثيراً من القواعد السلوكية أو العادات الاجتماعية التي تصبح بمثابة نبراس ينير له الطريق وتوجهه وترشده إلى أساليب السلوك والعمل والتصرف والتفكير المؤيدة من الهيئة الاجتماعية .

2- الوظيفة التنبئية :

تساعد العادات الاجتماعية على التنبؤ بسلوك الأفراد وهي تساعد الجماعة على الاستمرار في الحياة الاجتماعية وبدون هذه التوقعات تتعرض العلاقات الاجتماعية للاضطراب وأهمية التوقع في الحياة الاجتماعية يمكن أن تتضح من الحيرة والاضطراب التي يشعر الفرد بها في حالة انتقاله من مجتمع إلى مجتمع آخر عنه ثقافته وعاداته الاجتماعية .

3- وظيفة العادات الاجتماعية في التنظيم :

مهما تعددت وظائف العادات الاجتماعية فإنها في النهاية تتلاقى في هدف واحد هو تحقيق وظيفة العادات الاجتماعية الضبطية والتنظيمية حيث أنها تضع أصول السلوك الاجتماعي السليم في ضوء ما تنص عليه من أوامر ونواهي وبدون هذه العادات الاجتماعية يصاب المجتمع بالشلل والتوقف مما يهدد بتمزيق الجماعة .

دور العادات الاجتماعية في تماسك الجماعات :

العادات الاجتماعية عموماً والتقاليد منها على وجه الخصوص من العوامل القوية في تماسك الجماعة أو المجتمع لأنها تجسيم لأنواع من القيم والمعتقدات المتوارثة المتأصلة في النفوس منذ أجيال عدة والمنتشرة في جو الجماعة الخاصة واشتراك أفراد الجماعة في عادات اجتماعية موحدة تعبر عن قيم مشتركة وتشير إلى ذكريات مشتركة متو ارثة كل هذا من شأنه أن يولد بينهم شعوراً بالتضامن والمصير المشترك .

الركائز اللغوية فى العلاقات العربية الأفريقية

يحرص التاريخ دوماً على تسجيل وذكر تجربة التعاون والتواصل العربي الأفريقي على أنها من أقدم وأول تجارب التعاون الإقليمي التي شهدتها البشرية والحضارة الإنسانية منذ قرون طويلة، ليس فقط على مستوى الجوار الجغرافي وإنما امتد أيضاً ليشمل الروابط الثقافية والاجتماعية ذات الانعكاس الحضاري على العلاقات السياسية والاقتصادية بين الشعبين العربي والأفريقي والتي شهدت قروناً طويلة من الحراك والتفاعل الذى أدى إلى امتزاجهما وانصهار العرب والأفارقة فى العديد من بقاع القارة الأفريقية، خاصة فى مناطق الساحل الشرقي الأفريقي وحوض النيل ووسط أفريقيا، مما يدعو المتابع والمراقب لهذه المناطق إلى مشاهدة التداخل بين العادات والتقاليد العربية والأفريقية، وإلى اختلاف وتغير السمات العامة الجسدية بسبب التزاوج.

أيضاً، وهو الأهم والأوضح والسبب فى كل ما سبق، وجود لغة واحدة يتحدثها أبناء هذه المناطق هى مزيج بين اللغة العربية واللغات الأفريقية الأخرى ساعد على تدعيمها وترسيخ جذورها دخول الإسلام القارة السمراء وانتشاره بين أبنائها ووجود ركائز لغوية انطلقت وازدهرت من خلالها العلاقات العربية الأفريقية .

علاقات العرب بأفريقيا .. علاقة ذات جذور :

كان عرب شبه الجزيرة العربية عامة وعرب اليمن وحضرموت وعمان خاصة هم أول من عرف منطقة شرق أفريقيا قبل غيرهم من الأمم الأخرى وحتى قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، فقد استطاع العرب –ومن خلال رحلاتهم البحرية– أن يعبروا مضيق باب المندب منذ أقدم العصور وأن يكتشفوا البلاد الواقعة على الساحل الشرقي الأفريقي من بلاد الدناقلة والحبشة شمالاً وحتى موزنبيق ومدغشقر جنوباً .

وكان التبادل التجارى وتسويق منتجات المنطقة فى الأسواق الخارجية حين ذاك مثل بلاد الشام والهند هو الأساس الحقيقي لترسيخ الاتصال العربي الأفريقي، وهو ما دفع بالعرب إلى الاستقرار فى مناطق الساحل الشرقي الأفريقي حيث أصبحت لهم تجارة مزدهرة وكونوا إمارات شهد بتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب،

وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على استقرار العرب ودعم تجارتهم من أهمها :

1– القرب المكانى فيما بين المناطق المطلة على ساحل المحيط الهندي من كلا الجانبين العربي والأفريقي، وأيضاً الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي الأفريقي .

2– المناخ الجغرافي والمتمثل في نظام الرياح الموسمي المنتظم والذي ساعد على سهولة الملاحة البحرية بين سواحل شبه الجزيرة العربية المطلة على ساحل المحيط الهندي وبين سواحل شرق أفريقيا، فكانت هناك رحلات منتظمة ينظمها العرب بحسب المواسم المعروفة لديهم تذهب بهم خلال فصل الشتاء إلى الساحل الشرقي الأفريقي وتعود بهم مرة أخرى إلى بلادهم خلال فصل الصيف .

3- ظهور الإسلام وهجرة أفواج متتالية من المسلمين إلى بلاد الحبشة والساحل الأفريقي فراراً بدينهم .

ومما لاشك فيه أن العرب –وحتى قبل ظهور الإسلام–كانوا أصحاب ثقافة وحضارة استطاعوا أن ينقلوها معهم إلى بلاد الساحل الأفريقي الشرقي التي تأثر سكانها بتلك الثقافة، ومع انتظام رحلات التجارة بدأ العديد من التجار العرب فى الاستقرار لفترات طويلة فى شرق أفريقيا مما دفع ببعضهم إلى التزاوج والانصهار فى المجتمع الأفريقي .

ومع ظهور الإسلام وهجرة جماعات من المسلمين إلى بلاد الحبشة حيث وجدوا الرعاية والحماية فى كنف النجاشي ملك الحبشة، وسادت بين العرب والأفارقة علاقات سلمية كانت دافعاً لاستقرار العرب فأصبح لهم منازلهم ومتاجرهم، كما أنشأوا مراكز تجارية فى منطقة الساحل الأفريقي، وكثر عدد الوافدين العرب إليها سواء لأسباب اقتصادية كتجار من حضرموت وعمان والحجاز أو مزارعين من اليمن أو لأسباب سياسية .

وأدى الاختلاط بين العرب المسلمين وسكان هذه المناطق إلى انتشار الإسلام فى هضبة الحبشة وإريتريا وبلاد البجة، كما قامت بعض الإمارات الإسلامية على ساحل البحر الأحمر تمتعت بنفوذ سياسى كبير .

وقد اتسعت دائرة الإسلام بفضل جهود التجار والعلماء واعتنقت بعض الجماعات الأفريقية الدين الإسلامى مثل الفالا فى الهضبة الحبشية والتقرى فى إريتريا، كما أدى توافد العرب من جنوب الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربى إلى اختلاطهم بالوطنيين وقيام عدد من المراكز التجارية العربية فى زنجبار وكلوه وممباسا .

ومن الساحل الشرقى لأفريقيا –توغلت المؤثرات العربية الإسلامية إلى منطقة البحيرات الاستوائية التى تضم تنجانيقا (تنزانيا حالياً) وكينيا وأوغندا ورواندا وبوروندى والكونغو وكان لها نفوذاً كبيراً خاصة فى منطقتى: تنجانيقا وزنجبار والتى ظل العمانيون يستمتعون بنفوذ كبير بها بل وأيضاً بحكمها حتى عام 1964 .

ودفع هذا التعايش إلى الانصهار العربى الأفريقى فى تلك المناطق على مدى قرون طويلة وإلى وجود أجيال تحمل سمات عربية أفريقية بعقيدة واحدة تمارس العادات والتقاليد العربية بجانب العادات والتقاليد الأفريقية، وتكون هى حلقة الوصل بين العرب والأفارقة .

عادات الحاميون الشرقيون والشماليون

على سواحل البحر الأحمر والمتوسط

حينما نعرض للسلالات القوقازية فى إفريقية ، لابد لنا أن نحصر الكلام على الشعوب التى سكنت إفريقية منذ الأزمنة المتقدمة ، أى الأفريقية الصحيحة ، مع صرف النظر تماما عن العناصر الدخيلة ، التى تسمى " البيضاء " .. وأكثرها فى إفريقية جنوب خط الأستواء ، هذه عناصر غريبة تعيش فى غير أرضها ، دخيلة لم تنشأ ولم تتطور فى إفريقية ، ولم تعرفها البيئة الأفريقية ، إلا كعناصر عدوانية ، لا تمت للسلالات الأفريقية بسبب . فوجود الأنجليز والبوير والجرمان فى جنوب إفريقية يمثل أحداثاً سياسية ، لا حقائق أنثروبولوجية

التوزيع الجغرافى للحاميون:

- معظم القارة الأوروبية .
- النصف الشمالى من إفريقية .
- قارة اُسيا من أقصى الغرب إلى شبه جزيرة الهند .
- بعض جيوب أخرى فى أندونسيا .
- ماليزيا والجهات الشرقية من القارة .

- بالأضافة إلى إنتشارهم فى القارة الأمريكية .

وقد قسم علماء الأجناس القوقازيين فى إفريقية إلى قسمين :

- الحاميين

وهم فرع من سلالة البحر الأبيض المتوسط ، وهم يتكلمو ن لهجات ، يرى علماء اللغات أنها من أسرة لغوية واحدة .

- الساميين

وهم الذين يتكلمون لغات مشتقة من جزيرة العرب فى وقت يوصف بأنه متأخر نسبياً .

والتمييز بين الساميين والحاميين تمييزاً لغوياً فقط فهم من أسرة جنسية واحدة ، والدليل على ذلك اللغة المصرية القديمة ، فهى لغة حامية متأثرة باللغة السامية .

والحاميون إحدى سلالات الجنس القوقازى ، ذلك الفرع الكبير من أجناس النوع البشرى والذى ينتمى إليه معظم الأوروبيين . وقد قسم علماء الأجناس الحاميين إلى شرقيين وشماليين ، ولا شك أن الأعتبارات الجغرافية تبرر مثل هذا الأجراء .

يرى الأستاذ سلجمان أن المجموعة الشرقية تشتمل على :-

- المصريين القدماء والحديثين .
- البجه .
- النوبيين .
- الجلا .
- الصومال .
- الدناقل والأفار .
- الأثيوبيين (الحبشة) .
-

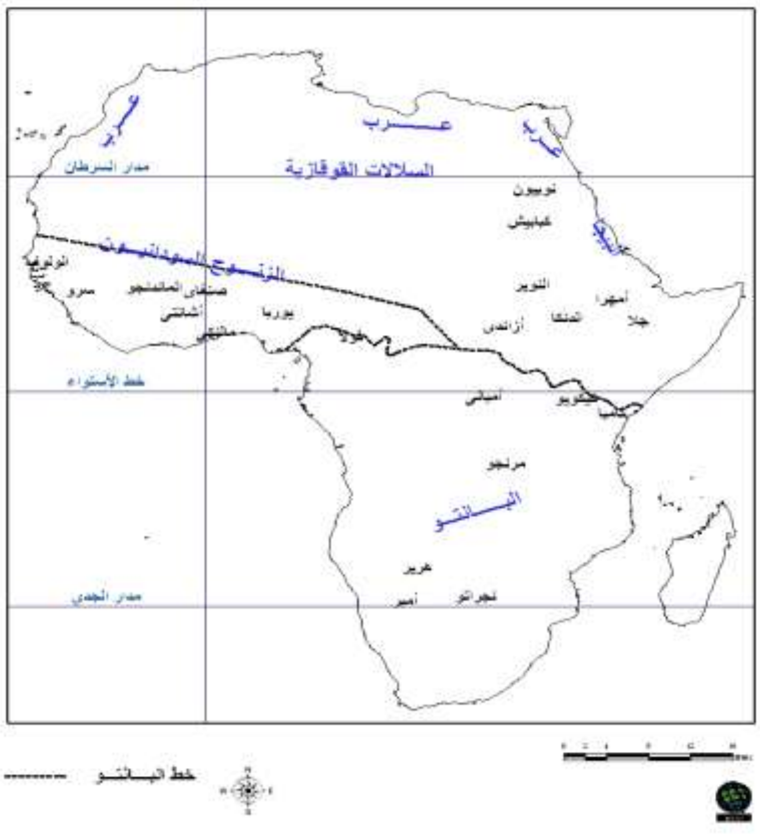
الحاميون الشماليون في شمال أفريقيا:

- البربر من اهل طرابلس وتونس والجزائر ويعرفون بالليبين.
- بربر مراكش .
- سكان الصحراء مثل الطوارق والتبو .
- الفولا فى نيجيريا .

▪ جماعات الجوانش Guanche المنقرضة التى كانت تسكن جزر كناريا .

ولكى ندلل على أهمية الحاميين والدور الخطير الذى لعبوه على مسرح إفريقية ، لابد وأن نلقى نظرة على خريطة توزيع اللغات فى القارة .

توزيع القبائل فى أفريقيا



من الخريطة يتبين لنا :

- يتحدث باللغة الحامية شعوب تحتل ما يقرب من خمس القارة الأفريقية .
- أما المساحة الجغرافية التى تقطنها الشعوب التى تعتبر شعوبا حامية فهى أكبر وأشمل ، فمن المرجح جداً أن اللغات الحامية كانت لسان القسم الأكبر فى نصف الكرة الشمالى قبل تغلغل التأثير العربى إليها .

الصفات السلالية للحاميون القوقازيون

- الشعر مموج مفلفل .
- الأنف دقيق أو متوسط ، بارز فى كثير من الأحيان .
- الشفاة مليئة غير منقلبة .
- بروز فى الفك فى حكم العدم .
- القامة متوسطة .
- الجسم نحيل .
- الرأس والوجه بيضيان .

- الشعر غزير على الرأس ، قليل على الجسم .
- لون البشرة متأثر بالأختلاط بعناصر جنوبية .. لكن الأصل فيه أن يكون أسمر ، سمره خفيفة في معظم الأحيان ، وداكنة فى أحيان أخرى.
- عظام الذقن دقيقة .

شعب الصومال

شعب الصومال أول ما يصادفنا حين نغادر الأقاليم الزنجية فى شرق إفريقية ، وتتجه شمالا ، ولذلك نرى أن بعض الصومال يعيشون فى كينيا .. فأوطانهم تبدأ من المجرى الأسفل لنهر تانا على الدرجة الثانية من درجات العرض الجنوبي ، وتتجه الأوطان نحو خليج عدن ، وأكثرها داخل فى الوقت الحاضر فى جمهورية صوماليا . ما عدا إقليم جيبوتي ، كما أن هناك مساحة ضخمة تشمل الجنوب الشرقى من أثيوبيا ، أى منطقة أوجادين وما يجاورها . وبلاد صوماليا تحتل البروز الشرقى من أفريقية المعروف بالقرن الأفريقى .

التركيب السكانى لشعب الصومال

يسود الصومال النظام القبلى ولكل قبيلة منهم زعيم ، والسكان موزعون بين سبع قبائل وهى : (دير وإسحاق وهما فى الأقليم الشمالى ، وداروط ، وهويه أولى ، وهويه ثانية ، وديجل ، وحمروين)

والقبيلتان الأخيرتان ، تعيشان فى الجنوب وتمارسان الزراعة والحياة المستقرة . أما الخمس الأولى فإنها تتبع نظام القبائل وتنقسم كل قبيلة إلى عمائر ، ثم إلى عشائر وإلى بطون ، وأصغر وحده هى العاقلة ، وهى التى يلزمها دفع الديه عما يرتكبه افرادها من جرم . وأهل الصومال من سكان الريف والبادية أكثر منهم من سكان الحضر .

التركيب الثقافي لشعب الصومال

من ناحية الديانة : يضم الإسلام الصوماليين جميعاً .

من ناحية اللغة : اللغة الصومالية هى لغة حامية ، ومع ذلك تضم اللغة الصومالية الكثير من الألفاظ العربية تقدر بنحو 20 % ، وينفرد الصومال بين الدول العربية فى أنه يستخدم اللغة الصومالية لغة رسمية ولغة تعليم ، بل هو فريد فى اختيار الحرف اللاتينى لكتابة الصومالية .

النشاط الاقتصادى الصومالى

ثروة المراعى هى عماد الاقتصاد الصومالى فسائر السكان يمارسون حرفة الرعى مثلهم مثل الدناقل .. وأكثر الماشية التى ترعى الأبل والضأن والماعز .

وعدم نمو الاقتصاد الصناعى والخدمات فضلا عن غياب الثروة المعدنية راجع إلى سيادة الاقتصاد التقليدى من زراعة ورعى وصيد .

المسكن والعمران لشعب الصومال

المسكن الصومالى هو الكوخ ويسمى" عريش " وهو سكن ثابت يستخدمه الرعاة والزراع فى المناطق المستقرة . ويكون الكوخ مستطيل الشكل وله سقف جمالونى ، ويتراوح ارتفاعه بين 3 – 4 أمتار . ويشيد هيكل العريش من أغصان الأشجار المثبتة راسيا فى الأرض ثم يكسى بالطين وروث الحيوانات ، ويغطى السقف بالقش ، وللعريش باب أو بابان وليس له نوافذ إلا فى حالات نادرة . ويوجد أحيانا أمام العريش فناء صغير محاط بسور من الأغصان الشوكية المثبتة تعرف بأسم " ذريبة " .

ويشغل العريش مساحة كبيرة بحيث يمكن تقسيمه من الداخل إلى عدة حجرات بواسطة حواجز من أغصان الشجر .

الحالة الزواجية لشعب الصومال:

أن المجتمع الرعوى شمال الصومال يشيع فيه تعدد الزوجات ، أما المجتمع الزراعى جنوب الصومال يغلب عليه نظام الزواج الأحادى .

ويسود المجتمع الصومالى نمط الزواج الأغترابى ، وهو يقضى بأن يتزوج الفرد من خارج العشيرة أو حتى القبيلة وذلك لتحقيق وظائف سياسية وأقتصادية وأجتماعية .

فمن الناحية السياسية يؤدى هذا التصاهر إلى تحالفهما ضد الأعداء الخارجين ، كما يقلل من حدة الصراع والنزاع على أراضى المراعى ، ومن ثم توفير الحماية والأمن .

ومن الناحية الاقتصادية يعد هذا التصاهر امتدادا للأراضى والمراعى التى يملكها كل منهما ، ويفيد هذا فى رحيل القبيلة إلى أرض أصهارها فى حالة الجفاف أو القحط . ومن ثم فهى بمثابة تأمين اقتصادي ضد الكوارث والنكبات .

ومن الناحية الاجتماعية ينظر المجتمع إلى أبناء العم والخال والعمة والخالة على إنهم أخوة وأخوات ولذلك لا يفضلون التزاوج بينهم ، كما أن هذا لا يضيف دماً جديداً إلى العائلة ، كما أن الزواج من داخل القبيلة به مخاطرة على العلاقات القرابية القائمة إذا حدث خلاف بين الزوجين وأدى ذلك لوقوع الطلاق .

قبائل الجلا :

هذا الشعب الحامى يعيش فى الجنوب والجنوب الغربى من أثيوبيا ، فاحتلوا الشاطئ الجنوبى لخليج عدن ، وهم يدعون أحياناً بأسماء أخرى مثل إلم وأرما وأدومر .

الصفات السلالية لقبائل الجلا:

صفاتهم الطبيعية لا تخرج عما ذكرنا عن الحاميين عامة سوى أن شعبة منهم تدعى برانا Borana ألوانها أقل سمرة من سائر الجلا ، وفيما عدا ذلك يوصف الجلا بأنهم:

- متجانسون فى أشكالهم ، والتقاطيع متناسقة .
- يمتازون باللون الأسود .
- الرأس متوسط .
- القامة طويلة (متوسطها 172 سم) .
- الجبهة عالية وعريضة .
- البنية ضخمة .
-

التركيب الثقافي لقبائل الجلا:

من ناحية الديانة : يزعم سلجمان أن الوثنية هى الغالبة وإن كان فيهم مجموعات إسلامية ومسيحية . ومن معتقدات الجلا:

- يعتقدون فى كائن أعلى ، يدعى واك (ويرادف معنى السماء)

- لديهم اعتقاد فى رب وربه – من المرتبة الثانية – اسمهما أجلى Oglie وأتيتى Atete . ويقوم رب كل أسرة بدور القسيس فى المناسبات الدينية ، ويقدمون قرباناً ويبتهلون إليه ، لكى يعمل على تنمية الثروة ووفرة الغلات والماشية.
- وعند الجلا الجنوبيين ، نوع من التكريم الدينى لشجرة التبلدى ، فيصب اللبن على عروقها مرة فى كل شهر ، ويضحون لها فى العام مرة بكبش أسود .
- كذلك عندهم عادة التطير أى التكهن المبنى على طيران الطير الذى يطلقونه لهذا الغرض .
-

النشاط الاقتصادى لقبائل الجلا

فى الجلا نجد أن البورانا وحدهم هم الرعاة ، ولا يمارسون الزراعة ، وينتقلون بماشيتهم فى موسم الجفاف ؛ والماشية الرئيسية هى البقر ، الضأن والماعز ، ولكن لديهم أيضا بعض الأبل بحكم مجاورتهم للصومال ..

أما سائر الجلا فحرفتهم الأساسية هى الزراعة ، وهم مع ذلك يحبون إقتناء الماشية وتربيتها.

كما إننا إذا استثنينا قبائل البوران الرحل فإن الجالا من الفرسان الصناديد ولكنهم أقل ثورة وتحرراً وميلاً للحروب بالنسبة لجيرانهم من الدناقل ، فكانوا يستخدمون قرون الثيران كأسلحة حربية وكان لهم أقواس وسهام ، ولبعضهم خناجر ورماح من المعدن ، ولهم ملابس من الجلد .

الحالة الزواجية لقبائل الجلا :

الشائع عند الجلا أن يتزوجوا زوجة واحدة ، فيما عدا البورانا .. والمهر يؤدى بالماشية . ويتزعم الأسرة أكبر أفرادها سنا ، والأسرة تتبع النظام الأبوى ، وللوالد سلطة الحياة والموت على أطفاله ، وقد يقضى ببيع بعضهم عبيداً إذا شاء . والأبن الأكبر هو الوريث الشرعى ، والمرأة لا ترث .

مسكن الجالا عبارة عن أكواخ بدائية يسهل فكها وحملها .

قبائل البجاه :

تسكن جماعات البجا الصحراء الشرقية ، ومواطنهم تتألف من الأراضى الواقعة بين البحر الأحمر شرقاً ، ونهر عطبرة ، ثم النيل الأكبر غرباً ، وتمتد من المنحدرات الشمالية للهضبة الحبشية فى الجنوب إلى نهاية مديرية أسوان فى الشمال .

الصفات السلالية للبجاه :

- تمتاز القامة بالنحول والرشاقة .
- القامة متوسطة الأرتفاع أو فوق المتوسط بقليل تتراوح بين (162 – 165) .
- البشرة سوداء تضرب إلى الحمرة ، تشتد سمرتها فى بعض الأحيان .
- الرأس مستطيل باطراد وضيق .
- الجبهه ضيقة ، وحافات الجبين بارزة قليلا .

- القذال بارز .
- الذقن مدببه .
- الأسنان متوسطة الحجم وصغيرة .
- الشعر مموج أو مجعد قليلا .
- النسبة الأنفية معتدلة أو متوسطة دائماً .
- ليس هناك بروز فى الفك .

التركيب السكانى :

ينقسم البجه إلى أقسام أربعة رئيسية ، ويطلق على كل قسم منها اسم قبيلة ، ولكل قبيلة رئيس لا يعترفون له بالسيادة المطلقة، لأن بين أفراده عصبية ، وهذه الأقسام هى :-

البشاريون فى الشمال

فى البيئة الجبلية الصخرية القليلة الماء والكلأ ، كما يحتلون معظم الأقليم المسمى صحراء العتباى ، وينتشرون من تخوم أسوان حتى العطبرة.

الأمرأر جنوب البشاريون

يمتدون بانحراف فى اتجاه من الجنوب الغربى فى مسمار على الخط الحديدي ، إلى الشمال الشرقى ، فى اتجاه بورسودان .

الهدندوه جنوب الأمرأر

وهم أكثر البجه فى السودان عدداُ ، ويمتدون من سواكن إلى سنار ، وفى الأرض المجاورة للخط الحديدى الممت د بين البلدين ، وبذلك أصبحوا يحتلون دلتا الجاش ، ويعيشون على شواطئ العطبرة المجاورة لهم على خط عرض 15 درجة .

جماعة بنى عامر

إلى الجنوب الشرقى ، ويمتدون من طوكر شمالا إلى داخل حدود إرتريه فى الجنوب . والجهات الشمالية أقل سكاناً بوجه عام من الجنوبية ، حيث الدمطر أغزر ، ومشروعات الرى أتاحت مورداً جديداً للعيش . ومعدل الذكور أعلى من معدل الأناث فكل مائة امرأة يقابلها 136 رجلا وهذا لا يعنى شيئا سوى توافق نوعية المواليد مع احتياجات المجتمع المحلى ، فالولد بالنسبة للبجه هو استثمار طويل الأجل يستطيع أن يعمل بالزراعة والرعي بل واعالة شقيقاته أو أخوته العجزه عند الضرورة .

التركيب الثقافي:

من ناحية الديانة : ظل البجاه متمسكين بعبادة إيزيس حتى القرن السادس حيث اعتنقوا المسيحية ، وفى القرن السابع بدأ الدين الأسلامى ينتشر بينهم ، وبالرغم من إسلامهم إلا أنه يسودهم نظام إجتماعى أموى ، فللمرأة عندهم مكان ممتاز ، حتى أنهم يذكرون أنسابهم من ناحية الأم، وممتلكات القوم تنتقل بالوراثة إلى أبناء الأخت أو إلى البنت ، بينما يحرم منها أبناء الميت من الذكور ، والقبائل أموية النسب .

من ناحية اللغة : يتكلم البجاه لغتهم الحامية ، وهى المسماه التبداوى (أو بداويت) ويستثنى من هذا معظم العشائر الجنوبية من بنى عامر ومن يجاورهم من الجماعات القليلة التى تتكلم لغة تجره (الخاصة) وهى لغة سامية منتشرة فى أرتريا وشمال بلاد الحبشة .

وأكثر البجه يعرف اللغة العربية ، ولكن ليست لغتهم الأصلية ، وقد تأثر البجه بالثقافة العربية كما تأثروا بالأسلام ، فقد تسرب قدر كبير من الألفاظ العربية إلى لغة التبداوى .

النشاط الاقتصادى للبجاه

أستطاع البجاه أن يتحولوا من حرفة الصيد إلى بدو رحل تشتغل الجماعات الشمالية منهم برعى الأبل ، والجماعات الجنوبية برعى الماشية إلى زراع مستقرين عن طريق قابليتهم للتشكل بالبيئة الجديدة والتطورات .

المسكن والعمران للبجاه:

تقضى حياة البداوة بأن يكون المسكن خفيفاً ، يسهل نقله وبناؤه . لذلك نجد أن البيت السائد هو البديجاو Bidigau أو البرش المصنوع من الحصير ؛ وإقامة المنزل وتقويضه من عمل النساء ، والمنزل يتألف كله تقريباً من الحصير ، والأثاث بالطبع غايه فى البساطة ، فالفراش أيضا من الحصير .

الحالة الزواجية للبجاه:

أبناء العمومة والخؤولة مفضلون دائما ، ولا يعطى الرجل ابنته لزوج غريب إلا بعد استئذان أقاربها الصالحين للزواج .

والبجه كرعاه بدو الزواج لديهم يهدف إلى استمرار نظامهم الأجتماعى . أما الطلاق فعند البجه يجرى طبقاً للعرف السائد عند العرب ، ولكن لديهم عادة خاصة تدعى التعليق أى أن يطلق الرجل زوجته بشرط يفرضه عليها ، فإذا لم يستوف هذا الشرط لا يجوز لها الزواج من رجل أخر ، بل تظل معلقة .

الأحوال التعليمية للبجاه:

قديماً : كانت أهم المؤسسات التعليمية هى ما يسمى بالخلوه (كلمة عربية لسكان القرى المزارعين) أو الشفاط Shafatt (كلمة تبداوية لسكان الأحراش الرعاه الرحل) وهى تمثل المدرسة المحلية لتحفيظ القرآن ، ورغم أن الخلوة أو الشفاط تعتبر مدرسة ذات طابع ديني ، الا إنها فى نفس الوقت تقوم بتعليم القراءة والكتابة .

حديثاً : هناك ثلاث مدارس ابتدائية ، 2 منها للذكور ، 1 للبنات ،ومدة الدراسة بها 6 سنوات ؛ ومدرسة واحدة للتعليم المتوسط ، ومدة الدراسة بها 3 سنوات . وتلعب الأماكن المتاحة دور هام فى عملية قبول الطلاب والتعليم بهذه المدارس غير إلزامى ، والناجحون بأى مرحلة من المراحل التعليمية ينتقلون إلى المرحلة التعليمية الأخرى عن طريق امتحان منافسة .

ويعتبر التعليم استثمار أكثر منه مجرد خدمة ، وحوالى 50 % من الأطفال ممن هم فى سن التعليم (7 سنوات) لا يجدون لهم مكانا فى المدارس الأبتدائية .

قبائل الأفار :

يسكنون المثلث من الأرض شمالى الصوماليين والجلا ، ويحد بلادهم البحر من الشرق والحافة الشرقية لهضبة الحبشة من الغرب

الصفات السلالية للأفار :

- الجسم نحيف .
- القامة متوسطة يبلغ طولها 160 سم .
- ملامح من النوع السامى الدقيق الجميل .

- بشرتهم لا تقل سواداّ عن كثير من الزنوج .
- شعرهم خشن مجعد غير أنه ليس مفلفلا
- النشاط الاقتصادى للأفار :
- السكان يشتغلون بالزراعة على نظام رى الحياض مع الأستعانة بالسواقى .

التركيب الثقافي للأفار:

- من ناحية الديانة : يعتنق الدناقل الأسلام ولكن ينقصهم الحماس لقواعد الدين كما ينقصهم رجال الدين العارفون أو المدرسون .
- من ناحية اللغة : نجد فى لغتهم بعض حروف قاطعة وحلقية من لغة البشمن .

قبائل الحبشة :

يحدها من الشمال إريتريا، ومن الغرب الصومال، ومن الجنوب كينيا، ومن الشرق الصومال0

الصفات السلالية لقبائل الحبشة:

- بشرتهم سوداء وتتفاوت بين الأسمر الباهت والأسمر الداكن .
- تشوب عيونهم كدره .
- الفك فيه بروز .
- الشفاة غليظة .

- الأنف مفلطح .
- القامة متوسطة أو فوق المتوسط .
- الرأس طويل .
- المسافة بين العينين ضيقة .
- الشعر شديد التجعد ، غير أنه لم يصل إلى درجة التفلفل .

التركيب السكانى لقبائل الحبشة :

يتألف التكوين الجنسى للأحباش من 75 % من الحاميين ، ونحو 15 % من الدم الزنجى ، ونسبة أقل ولكنها هامة جداً من الساميين .

الأثيوبيين موزعون فى جهات تجرة فى الشمال ، والأمهاره وجوجم فى الوسط ، وشوا فى الشرق .

التركيب الثقافي لقبائل الحبشة :

من ناحية الديانة : اقتبست أثيوبيا الدين اليهودى ، ويزعمون أنهم من نسل داود ، ويحرمون على أنفسهم أن يدخلوا منزل شخص مسيحى ، وينقسمون إلى ثلاث مذاهب كل منها يشرف عليه قسيس خاص . ويصومون مرتين فى الأسبوع ، و40 يوماً قبل عيد الفصح ، وفى ديانتهم بعض تقاليد وثنية . أما المسيحية فقد جاءت إلى أثيوبيا فى منتصف القرن الرابع عن طريق مصر ، ولذلك ارتبطت الكنيسة الحبشية بالكنيسة المصرية ارتباطاً وثيقاً ، وترجم الأنجيل حوالى القرن السابع إلى الأثيوبية أو الغيز Geez . كما يوجد الأسلام فى الحبشة ،وإن المذهب السائد هو المذهب السنى .

من ناحية اللغة : يتكلم اللغة الأمهرية فى أثيوبيا نحو خمسة ملايين من السكان ، ويتكلم باللغة التيجرينية (وهى المشتقة من الجعز) نحو 1.5 مليون فى الأقليم الشمالى من أثيوبيا ، وهناك خمس لغات سامية أخرى فى أثيوبيا ليست بذات خطر . ومن ثم فيمكن أن نعتبر الحبشة متحفاً جنسياً وثقافياً ولغوياً

عادات الزواج لقبائل الحبشة :

يعيشون فى شبه عزله لا يتزوجون إلا من شعبهم ، ولا يتزوجون أكثر من واحدة .

النشاط الاقتصادى لقبائل الحبشة:

مهره فى الزراعة وصناعة الفخار والأدوات الحديدية والنسيج كما إنهم مهره فى البناء .

الأحوال التعليمية لقبائل الحبشة :

لم يكن فى الحبشة إناس متعلمون بإستثناء رجال الدين ، فإن 99 % من الشعب الحبشى أمى ، وكان يوجد القليل جدا من الكتب ، غالبيتها أناجيل أو أعمال دينية مكتوبة باليد باللغة الأمهرية ، ولم تكن توجد مدارس للأحباش أنفسهم ، ولكن ما يمكن أن يطلق عليه مدرسة لم يتعد ستة تلاميذ كانت تديرها البعثات الأجنبية خاصة بالجاليات الأجنبية المقيمة هناك . وإذا ما أتيحت للأحباش فرصة التعليم فإنهم كانوا يقدرون ذلك ويحصلون على نتائج طيبة ، وقد أسهم ذلك فى اصلاح الأحوال المختلفة فى البلاد .

العادات الاجتماعية في مصر القديمة

كانت مصر القديمة حضارة ذات تقدم كبير وخاصة من الناحية الإجتماعية والأخلاقية فقد كان مستوى الرقي لم يشمل فقط الطبقة العليا وإنما أيضا إمتد إلى طبقة الشعب العادية ولنأت بشئ من التفصيل لبعض الصفات الأخلاقية الشخصية ونوعية الألعاب التي كانوا يلهون بها والمظهر الخارجي للرجال والنساء و نوعية الأصباغ والأدهان التي كانوا يستخدمونها سواء لزنة أو للطب أو حتى للطقوس الدينية ، وكذلك الملابس والحلي التي كانوا يستعمولنها. إذا شئنا أن نستعيد في مخيلتنا صورة من الأخلاق الشخصية للمصريين الأقدمين ، وجدنا أن ليس من السهل أن نفرق بين هذه الأخلاق كما نقرأ عنها في آدابهم وبين ما كان يحدث في الحياة الواقعية. فما أكثر ما نقرأ عنه من العواطف النبيلة في كتاباتهم. من ذلك ما كتبه أحد الشعراء ينصح مواطنيه:

أطعم الخبز لمن لا حقل له.

وإترك ورائك ذكراً طيبا يبقى أبد الدهر.

وكثيراً ما يسدي بعض الكبار إلى أبنائهم نصائح حميدة ، ففي المتحف البريطاني بردية تعرف بإسم : "حكمة أمنحوتب" (حوالي 950 ق.م) وهي تُعد أحد الطلاب لتولي منصب عام بطائفة من النواهي لا يبعد قط أن كان لها أثر في واضع "أمثال سليمان" أو واضعيها:

لا تطمع في ذراع من الأرض.... ولا تعتد على حدود أرملة ..... وإحرث الحقل حتى تجد حاجاتك ....وخذ خبزك من بيدرك .... وإن قدحا من الحب يعطيكه الله .... لخير من خمسة آلاف تنالها بالعدوان ..... إن الفقر بيد الله ..... لخير من الغنى في المخازن ..... وإن الرغيف والقلب مبتهج .... لخير من الغنى مع الشقاء.

على أن ما تحويه هذه الآداب من دلائل التقوى والصلاح لم يحل دون المطامع البشرية. ولم يكن المصريون الأقدمون إلا خلقاً ، لهم ما لسائر الخلق من مطامح. لقد وصف أفلاطون الآثينيين بأنهم محبون للمعرفة، والمصريين بأنهم محبون للثروة. ولعل في هذا الوصف كثيراً من المغالاة دفعته إليها النعرة الوطنية، ولكنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا أن المصريين هم أمريكيوا العالم القديم. فهو قوم مولعون بضخامة الحجم ، يحبون المباني الفخمة الكبيرة ، وهم مجدون نشيطون جماعون للثروة ، عمليون حتى في خرافاتهم الكثيرة عن الدار الآخرة.

وهم أشد الأمم الماضية إستمساكا بالقيم ، لم تتبدل حالهم رغم ما طرأ عليهم من أحداث ؛ وظل فنانوهم يقلدون ما جرى به العرف القديم تقليدا كأنه أمر من أوامر الدين ، إذا نظرنا إلى آثارهم بدا أنهم قوم واقعيون لا يعنون بالسخافات التي لا صلة لها بالأمور الدينية.

ولا يقدرون الحياة تقديرا أساسه العاطفة ، يقتلون وضميرهم مستريح لأنهم لم يفعلوا ما يخالف الطبيعة البشرية. ولقد كان الجندي المصري يقطع يمين العدو والمقتول أو عورته ويأتي بها إلى الكاتب المختص ليسجل له عمله هذا في صحيفة حسناته. وفقد الناس في عهد الأسر المتأخرة عاداتهم وصفاتهم الحربية لطول ما أخلدوا إلى الأمن في الداخل وإلى السلام فيما عدا الحروب البعيدة عن ديارهم ؛ وكانت نتيجة هذا أن فئة قليلة من جنود الرومان إستطاعت أن تسيطر على مصر كلها.

ولما كان أكثر ما نعرفه عن المصريين مستمدا من الآثار التي كشفت في مقابرهم أو النقوش التي على جدران هياكلهم ، فقد خدعتنا هذه المصادفة المحضة فبالغنا فيما كانوا يتصفون به من جد ووقار. والحق أن بعض ما خلفوه من تماثيل ونقوش ، ومن قصص هزلية عن آلهتهم، ليشهد بأنهم كانوا على جانب غير قليل من المرح والفكاهة .

وقد كان لهم كثير من الألعاب والمباريات العامة والخاصة مثل الداما و النرد ، وكانوا يقدمون اللعب والدمى لأطفالهم كالبلي والكرة و النطاطة و الخذروف ، وكانوا يعقدون مباريات في المصارعة والملاكمة وصراع الثيران ، وكان خدمهم يمسحون لهم في أعيادهم ونزهتهم أجسامهم بالزيوت. وكانوا يضعون على رؤوسهم أكاليل الزهر ويسقون الخمور تقدم لهم الهدايا، ونستطيع إستنادا إلى ما لدينا من رسومهم الملونة وتماثيلهم أن نصورهم خلقا أقوياء الأجسام ، مفتولي العضلات ، عريضي المناكب ، مستدقي الخصور ، ممتلئي الشفاه، منبسطي الأقدام لإعتيادهم الحفاء. وهذه الرسوم والتماثيل تمثل الطبقات العليا النحيفة القوام ، طويلة في هيبة ، ذات وجوه بيضاء وجباه منحدرة منتظمة، وأنوف طويلة مصفحة، وعيون نجل ، وكانت بشرتهم بيضاء وقت مولدهم (تشهد بأنهم من أصل آسيوي لا إفريقي)، ولكنها سرعان ما تلفحها شمس مصر فتسمر. وقد جرى العرف بين الفنانين المصريين على أن يرسموا الرجال حمرا والنساء صفروات ؛ ولربما كان هذان اللونان مجرد طرازين من الزينة للرجال والنساء. هذا شأن الطبقات العليا .

أما الرجال من عامة الشعب فكان يمثل بالصورة التي نراها في تمثال شيخ البلد ، قصير القامة ، ممتلئ الجسم ، كاسي القصب ، وذلك لطول كده وطعامه غير المتزن. وكانت ملامحه خشنة، وكان أفطس الأنف أخشمه، ذكيا ولكنه خشن الطباع. ولربما كان الشعب وحكمه من سلالتين مختلفتين ، شأنهم في هذا شأن كثير من الشعوب: فلعل الحكام كانوا من أصل آسيوي وعامة الشعب من أصل إفريقي. وكان شعرهم أسود، أحجن في بعض الأحيان، وقلما كان قَطَطاً. وكان النساء يقصصن شعورهن كأحسن ما يقصصنه في هذه الأيام؛ وكان الرجال يحلقون لحاهم ويخفون شواربهم ويزينون أنفسهم بشعور مستعارة فخمة.

وكثيرا ما كانوا يقصون شعر رأسهم ليسهل عليهم لبس هذه الشعور المستعارة. وحتى زوجة الملك نفسها كانت تقص شعرها كله ليسهل عليها لبس التاج وا لشعر الملكي المستعار (كما ترى هذا في صورة تي أم إخناتون). وكان من المراسم التي لا يستطيع الملك الخروج عليها أن يلبس أكبر ضفيرة مستعارة. وكانوا يستعينون بفنون التجميل على إصلاح عيوب أجسامهم كل منهم حسب موارده. فكانوا يحمرون أوجههم وشفاههم ، ويلونون أظافرهم ، ويدهنون أعضاء أجسامهم بالزيت ، وحتى تماثيل المصريات كانت تكحل عيونها. وكان ذوو اليسار منهم يضعون في قبور موتاهم سبعة أنواع من الأدهان ونوعين من الصبغة الحمراء. وقد وجدت بين آثارهم كميات كبيرة من أدوات الزينة ، والمرايا ، والمواسي ، وأدوات تجعيد الشعر ، ودبابيسه، والأمشاط ، وصناديق الأدهان ، والصحاف والملاعق- مصنوعة من الخشب ، أو العاج ، أو المرمر ، أو البرونز ، ذات أشكال جميلة تتفق والأغراض التي تستخدم فيها. ولا تزال بعض أصباغ العيون باقية في أنابيبها إلى يومنا هذا ، وليس الكحل الذي تستعمله النساء في هذه الأيام لتزيين حواجبهن ووجوههن إلا صورة أخرى من الزيت الذي كان المصريون يستخدمونه في غابر الأيام. وقد وصلت إلينا هذه العادة عن طريق العرب ، وإشتق من اسمه العربي الكحل لفظ الكحول الذي نستخدمه الآن. وكانت العطور على إختلاف أنواعها تستخدم لتعطير الجسم والثياب ، كما كانت المنازل تبخر بالبخور والمر.

وسارت ملابسهم في جميع مراحل التطور من عرى البدائيين إلى أفخم ملابس عصر الإمبراطورية. ففي أول الأمر كان الأطفال ذكورا وإناثا يظلون حتى الثالثة عشرة من عمرهم عراة الأجسام إلا من الأقراط والقلائد. غير أن البنات كن يظهرن شيئاً من الخفر الخليق بهن فيتمنطقن بمنطقة من الخرز في أوساطهن. وكان الخدم والزراع يقتصرون على قطعة من القماش تستر عوراتهم.

فلما كان عهد الدولة القديمة كان الأحرار من الرجال والنساء يسيرون وأجسامهم عارية من فوق السرة ، مغطى ما تحتها إلى الركبة بإزار قصير ضيق من الكتان الأبيض. ولما كان الحياء وليد العادة لا الطبيعة فإن هذه الثياب البسيطة كانت ترضي ضمير هؤلاء القوم ، كما كان الإنجليز في العصر الفكتوري يرتضون الثُقبة (الجونيلا) والخصار أو ثياب السهرة التي يلبسها الرجال من الأمريكيين في هذه الأيام. وما أصدق القول المأثور: "ليست فضائلنا إلا معاني تخلعها الأيام على الأفعال والعادات". وحتى القساوسة أنفسهم في عصر الأسر المصرية الأولى كانوا يكتفون بستر عوراتهم كما نشاهد ذلك في تمثال رنوفر. فلما زادت الثروة كثرت الملابس ، فأضافت الدولة الوسطى إزارا ثانيا فوق الإزار الأول وأكبر منه

وأضافت الدولة الحديثة غطاء للصدر ودثارا للكتفين كان يلبس من حين إلى حين. وكان سائقو المركبات وسائسو الخيل يرتدون حللاً فخمة كاملة ويعدون في الشوارع بحللهم هذه ليفسحوا الطريق لمركبات أسيادهم.

ونبذت النساء المئزر الضيق في عصور الرخاء المتأخرة وإستبدلن به ثوباً فضفاضاً ينزل من الكتفين ويربط بمشبك تحت الثدي الأيمن. وظهرت الأثواب المطرزة ذات الأهداب المختلفة التي لا يحصى عديدها ، وتسربت الأنماط والطرز الحديثة إلى البيوت تسرب الأفاعي لتفسد على أصحابها جنة العري البدائية. وكان الرجال والنساء سواء في الشغف بالحلي والزينة ،

فكانوا يحلون بالجواهر أعناقهم، وصدورهم، وأذرعهم ، ومعاصمهم ، وأرساغهم. ولما عم الرخاء البلاد وزاد ثراء أهلها بما جاءها من خراج أملاكها في آسيا ، ومن مكاسب تجارة بلاد البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح التحلي بالجواهر مطلباً يهواه جميع المصريين ، ولم يعد ميزة للطبقات الموسرة ؛ فكان لكل كاتب وتاجر خاتمه المصنوع من الفضة أو الذهب ، ولكل رجل خاتم في إصبعه، ولكل امرأة قلادة تزينها.

وكانت هذه القلائد من أنماط لا حصر لها كما يدل على ذلك ما نراه منها اليوم في المتاحف؛ فمنها ما لا يزيد طوله على بوصتين أو ثلاث بوصات ، ومنها ما يبلغ طوله خمسة أقدام ؛ ومنها ما هو سميك ثقيل ، ومنها ما يضارع "أجمل مخرمات مدينة البندقية خفة وليناً". وأضحت الأقراط في عهد الأسرة الثامنة عشرة حلية لا غنى عنها. فكان لا بد لكل شخص أن تخرق أذنه لتحلى بقرط ، ولم تختص بالأقراط النساء والبنات بل كان يتحلى بها أيضا الأولاد والرجال. وكان الرجال والنساء على السواء يزينون أجسامهم بالأساور والخواتم والأنواط والقلائد من الخرز والحجارة الثمينة. وملاك القول أن نساء مصر القديمة لن يتعلمن منا شيئا عن أدهان الشعر والوجه والجواهر لو أنهن بعثن بيننا في هذه الأيام.

عادات البربر – الأمازيغ

يجمع الأركيولوجيون وعلماء التاريخ على أن شمال أفريقيا وجزء كبير من الصحراء الكبرى قد سكنها الإنسان منذ القدم .

وقد اكتشف باحثون أوروبيون في سنة 2007م مجوهرات حجرية ملونة بمادة نباتية قرب مدينة فكيك Figuigالمغربية، وقدروا عمر هذه المجوهرات البدائية بـ 82.000 سنة . وهذا يؤشر على قدم وجود الإنسان بشمال أفريقيا .

والبربر شعب دخل شمال أفريقيا ما بين الألف الثاني والثالث قبل الميلاد، وقد أثبت علماء الجينات أن الجد الجامع لهذه السلالة عاش فقط لـ 5600 سنة مضت، مما يفتح سؤالا عن الشعب الذي انبثقت منه هذه السلالة . وحسب ابن خلدون، ينقسم البربر إلى مجموعتين البرانس والبتر .

البتر يتكونون من قبائل: أجذام ، أداسة ، نفوسة ، ضريسة (هم قبائل كثيرة من بينها زناتة) ، بني لوا (وهم يتكونون من نفزاوة ولواتة)، وقد اندمج عقب أداسة في هوارة .

أصل تسمية الأمازيغ والبربر :

عرف الأمازيغ قديما في اللغات الأوروبية بأسماء عديدة منها المور (Moors / Mauri) وهي الكلمة التي اشتقت منها كلمة "موريتانيا". وأطلق اليونان عليهم المازيسMazyes ، أما المؤرخ اليوناني هيرودوتس فأشار إلى الأمازيغ بالكلمة ماكسيس .Maxyes وأطلق المصريون القدماء على جيرانهم الأمازيغ اسم "المشوش". أما الرومان فقد استعملوا ثلاث كلمات لتسمية الشعب الأمازيغي وهي النوميديون Numidians ، الموريتانيون Mauretanians، والليبيون أو الليبو . Libue وكان العرب غالبا يطلقون عليهم اسم البربر أو أهل المغرب. والبربر في العربية كلمة منقولة عن الجذر اللاتيني الإغريقي باربار (Barbar) وهي كلمة استعملها اللاتينون لوصف كل الشعوب التي لا تتكلم اللاتينية أو الإغريقية اعتقادا منهم بتفوق الحضارة اليونانية والرومانية على كل الحضارات. ويجدر الذكر أن لقب البربر والبرابرة أطلقه الرومان أيضا على القبائل الجرمانية والإنكليزية المتمردة عليهم أيضا وليس فقط على القبائل الأمازيغية. كما يعتقد البعض ان سبب التسمية يعود إلى الموروث العربي على اعتبار ان اصول البربر عربية فسموا بالعرب البربر أي الرحل عن طريق البر طبقا للنظرية القائلة أنهم عرب رحلوا من بلاد اليمن إلى شمال افريقيا برا ..

ونفى العلامة ابن خلدون أن يكون البربر ينتمون لبلاد اليمن أو الشرق الأوسط .وقال في مؤلفاته ما مفاده أن كثرة البربر وقوة انتشارهم في بلاد المغرب لا توحي بأنهم هاجروا إليها من الشرق الأوسط .وقد أكد الكثيرون من المختصين هذه النظرية واعتبروا أن عروبة البربر أمر غير علمي ولا منطقي وأثبتوا ذلك بعدم تشابه العادات والتقاليد وأساليب الحياة إضافة إلى الصبغات الفيزيولوجية والوراثية المختلفة بين العرب والامازيغ .

الصفات الجنسية للبربر :

ويندرج سلالة البربر الأمازيغ ضمن (عرق البحر الأبيض) المتوسط وهذا بدوره يندرج ضمن (العرق الأبيض القوقازى) ويمتاز هذا العرق بصفات خاصة وهى:

- علو الأنف ودقّته.
- اعتدال الشفة وبروز الفكّين.
- استقامة العينين.
- تموج الشعر وتجعده.
- وكثرة شعر الجسم وكثافة اللحية.

توزيع وانتشار الأمازيغ :

يعيش الأمازيغ في المنطقة الجغرافية الممتدة من غرب مصر إلى جزر الكناري، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى أعماق الصحراء الكبرى في النيجر و مالي جنوباً .

مع حلول الإسلام في أفريقيا ، استعرب جزء من الأمازيغ بتبنيهم اللغة العربية لغة الدين الجديد. وبقيت جزء آخر محتفظ باللغة الأمازيغية. وبسبب ذلك أثرت اللغة الأمازيغية في العربية الوافدة فنشأت اللهجات المغاربية والتي يصعب على عرب الشرق الأوسط فهمها .

والمتحدثون حاليا باللغة الأماز يغية ينتشرون في العديد من الحواضر الكبرى (الدار البيضاء، طنجة، الناظور، الحسيمة، الرباط، الخميسات، إفران، جادو، نالوت، كاباو، سوكنة، اوجلة، تيزي وزو، بجاية، باتنة، خنشلة، غرداية، تمنراست، جزيرة جربة) وأيضا وينتشرون أيضا على شكل تكتلات لغوية أو قبلية كبيرة الحجم واسعة الإنتشار ببوادي وقرى شمال أفريقيا .

المغرب :

يتوزع الناطقون باللغة الامازيغية في المغرب على ثلاث مناطق جغرافية واسعة، وعلى مجموعة من المدن المغربية الكبرى، وعلى عدد من الواحات الصحراوية الصغيرة .المناطق الثلاث الأمازيغية اللغة في المغرب هي :

1- منطقة الريف الشرقي والأوسط شمال المغرب :رغم تعرب الريف الغربي، احتفظ الريف الشرقي والأوسط بلغته الأمازيغية. ويمتد الريف الشرقي والأوسط الناطق بالأمازيغية على مساحة حوالي 40.000 كيلومتر مربع ويسكنه حوالي 4 ملايين ونصف المليون من الناطقين بالأمازيغية الريفية . ويوجد الناطقون بأمازيغية الريف أيضا ببعض المناطق في الأطلس المتوسط وإقليم فكيكFiguig ، بالإضافة إلى تواجدهم المهم بمدن الريف الغربي(طنجة، تطوان، الفنيدق، الشاون والعرائش) ومدن الشرق(وجدة، السعيدية، بركان، تاوريرت .)ويقدر العدد الإجمالي لأمازيغ المغرب الناطقين بأمازيغية الريف (تاريفيت)بحوالي 5 ملايين ونصف المليون نسمة. وتتميز هذه المنطقة بتنوعها الجغرافي، وإطلالها على البحر المتوسط والإنخفاض النسبي لدرجات الحرارة مقارنة ببقية المغرب .

2- منطقة الأطلس المتوسط وشرق الأطلس الكبير والصحراء الشرقية :هي منطقة واسعة متنوعة جغرافيا ومناخيا لا تطل على البحر، وتبلغ مساحتها ما لا يقل عن 70.000 كيلومتر مربع. وتتميز بقساوة نسبية في المناخ تتراوح ما بين البرد القارس في أعالي جبال أطلس وجفاف الصحراء الشرقية. ويبلغ عدد السكان الناطقين بالأمازيغية الزيانية (تازايانيت) فيها حوالي 6 ملايين نسمة .

3- مناطق سهل سوس وغرب الأطلس الكبير والأطلس الصغير ومشارف الصحراء الجنوبية :وهي مناطق واسعة متنوعة يغلب عليها المناخ الدافيء قرب البحر والحار في الداخل والبارد في جبال الأطلس. يبلغ مجموع مساحة هذه المناطق ما لا يقل عن 100.000 كيلومتر مربع .وتنتشر في هذه المناطق أمازيغية الجنوب (تاشلحيت / تاسوسيت). ويبلغ عدد السكان الناطقين بأمازيغية الجنوب هناك حوالي 10.5 مليون نسمة .

وتنتشر الأمازيغية أيضا بكل المدن المغربية ولكن بنسب متفاوتة .وتنتشر أيضا بالعديد من الواحات في الصحارى الشرقية والجنوبية المغربية . أما المناطق المغربية المتبقية فهي إما تنتشر فيها العربية المغربية الدارجة وإما تنتشر فيها اللغة الأمازيغية بنسب منخفضة .

شمال افريقيا :

تنتشر اللغة الأمازيغية بتنوعاتها المختلفة : لهجة الريف، الشلحية، تامازيغت، الترقية، الشناوية، المزابية، الشاوية، النفوسية، لهجة جزيرة جربة في تونس، قبائلية ... في 10 من البلدان الإفريقية أهمها :

- المغرب : حيث يشكل الناطقون باللغة الأمازيغية كلغة أم نسبة معتبرة من السكان البالغ مجموعهم أكثر من 30 مليون نسمة ويشكل الأمازيغ 80% من السكان .

- الجزائر : حيث يشكل الناطقون باللغة الأمازيغية كلغة أم حوالي35% من السكان البالغ أكثر من 30 مليون نسمة .
- وكذلك في كل من : ليبيا، مالي، النيجر، تونس، موريتانيا، بوركينافاسو و مصر ،مع ملاحظة أن أكبر نسبة للأمازيغ في المغرب والجزائر، والباقي عبارة عن عرب وأفارقة وحتى أوربيون أو خليط منهم بالإضافة إلى أجناس أخرى .
- في أوروبا الغربية توجد جالية أمازيغية مغاربية كبيرة لا يقل تعدادها عن المليونين نسمة تنتشر في 9 بلدان أوروبية أهمها فرنسا وهولندا وإسبانيا وبلجيكا وألمانيا .

مصر :

هجرة المغاربة إلى مصر قديمة العهد. والطريق المغربي الذي يصل بلاد المغرب بمصر؛ كان معبراً مفتوحاً منذ أقدم العصور، ولكن بعد نزول الفاتحين العرب المسلمين في بلاد المغرب واحتكاكهم بالبربر، قام التعرب الثقافي في بلاد المغرب بصورة تلفت النظر، ومثلت قبائل المغرب دوراً هاماً في تاريخ العروبة في مصر وشمالي إفريقية وبلاد السودان من السنغال في أقصى الغرب إلى الصومال في أقصى الشرق

وكان للفاطميين أثر لا ينكر في هجرة جموع كبيرة من قبائل البربر المتعربة إلى مصر، فمن المعلوم أن الفاطميين قد اعتمدوا في تأسيس دولتهم في المغرب على قبيلة كتامة، وكانوا وجوه الدولة الفاطمية وأكابر أهلها. وكان أن انتقلت أغلب قبائل كتامة إلى مصر بانتقال الفاطميين إليها. وكانت منازلهم في القاهرة بحارة كانت تسمى حارة كتامة. كما وكانت منازل زويلة بحارة زويلة والباب المعروف بباب زويلة.

ولهذا يعد العصر الفاطمي مرحلة هامة في تاريخ الهجرات المغربية إلى مصر ، ففي هذا العصر انتقلت موجات كبيرة من المغرب، واستقرت في الجانب الغربي لمصر ، في غربي الدلتا، والبحيرة والفيوم، والواحات وسائر الجهات الغربية من صعيد مصر . وربما اتجهت بعض قبائل المغرب شرقا، كما فعلت " لواتا " فتجاوزت شرقاً وعبرت منقطع الرمل، ثم نزلت في الجيزة وبلاد البهنسا التي تصاقب الفيوم من جهة الشرق .

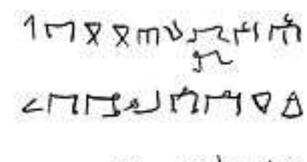
ومن الملاحظ أن قبائل المغرب المهاجرة، جاءت تحمل أنساباً عربية، مثل قبائل لواتة وبعضهم ينتسب إلى قبائل هوارة . فهذه القبائل التي ترجع أصلاً إلى البربر ، قد اختلطت نزحت من بلاد المغرب، من طريق الحلف، أو الولاء، أو المصاهرة، أو هذه جميعاً، وتجلت ثمرة هذا الاختلاط، في التعرب الثقافي [1].

كتابة الأمازيغ :

ⵜⴰⵎⴰⵣⵖⴰ

حروف من تافيناغ

استخدم الطوارق خط التيفيناغ وهو من أقدم الأبجديات التي عرفتها الإنسانية وقد قام المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بمعيرته .وهو الخط الذي تبناه النظام التعليمي في المغرب لتعليم الأمازيغية في بعض المدارس الإبتدائية .



تشابه حروف التيفناغ مع خط الحبشة كتاب الفهرست

تجدر الأشارة إلى أن كتابة التيفيناغ بقيت مستعملة بدون انقطاع من طرف الطوارق في حين كتب الأمازيغ بكتابات أخرى، ولايوجد دليل على أن التيفناغ كان خطا لكل الأمازيغ خصوصا وأن قبيلة المشوش قد احتكت بالحضارة المصرية فقد يكون لها خط مغاير شبيه بالهيروغريفية. كما أن التيفناغ قد يكون هو نفسه الخط الموصوف في كتاب ابن النديم الفهرست وقد نسبه إلى الحبشة أي إثيوبيا، حيث أنه قال: وأما الحبشة، فلهم قلم حروفه متصلة كحروف الحميري يبتدئ من الشمال إلى اليمين، يفرقون بين كل اسم منها بثلاث نقط ينقطونها كالمثلث بين حروف الاسمين وهذا مثال الحروف وكتبتها من خزانة المأمون، غير الخط .

كما أن علم الجينات أثبت أن 62 في المائة من طوارق نيجيريا لا يختلفون في جيناتهم عن باقي سكان نيجيريا و 9 في المائة فقط منهم يحملون الجين المميز للبربر E1b1b1b = M81 وهو عند بربر مزاب بالجزائر بنسبة 80 في المائة، وعند بربر الأطلس المتوسط بالمغرب بنسبة 71 في المائة، وعند بربر الأطلس الكبير مراكش 72 في المائة، هذا يعني أن من ذاب جنسهم في الجنس النيجيري بهذا الشكل لا يمكن أن يحفظ كتابة، أو أن لا يستعمل كتابة أخرى .

كلمات أمازيغية ليبية :

- أويا : اسم لمدينة طرابلس .
- تاجوراء : اسم لمنطقة قرب طرابلس .
- تاسا : جدة قبيلة أداسا وهي جنزور الحالية .
- تارات : أسم امرأة عند التوارق عن روايات إبراهيم الكوني .
- شروس : مدينة في جبل نفوسة وهي آثار حالياً .
- نفوسة : قبيلة كانت تقطن بليبيا .
- إدري : منطقة في جنوب ليبيا وجمعها إدران وتعني حواف النهر أو الوادي .
- شيشنق : ملك مصري مؤسس احد الأسر الحاكمة الفرعونية .
- كباون : اسم زعيم ليبي حارب الوندال .

- مصراتة : اسم منطقة بليبيا .
- يدر : تعني حي وهو اسم قبيلة من قبائل مصراتة وغدامس .
- قزير : اسم قبيلة من قبائل مصراتة .
- زمورة : اسم قبيلة من قبائل مصراتة .
- قلمام : بئر ماء بمنطقة العرعار بمصراتة و يعني المياه التي انفصلت عن البحر .
- ورفلة : اسم منطقة بليبيا تعرف أيضا ببني وليد .
- هوارة : اسم قبيلة بربرية كان جزء منها يقطن المنطقة الممتدة بين تاورغاء ومدينة طرابلس .
- ماجر : اسم وادي ومنطقة بزليتن .
- مسلاتة : اسم منطقة بليبيا .
- تاورغاء : اسم لمنطقة تقع جنوب مصراتة .
- يفرن .
- تكاشفين : يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين .
- نوميديا : مملكة نوميديا وهي الجزائر حالياً تقريباً .

هذه الأسماء هي جزء من التاريخ ولا تعني شيئاً في الوقت الحاضر سوى مدلولها التاريخي فقط، فكثير من هذه الأسماء لمناطق يقطنها العرب وليس للبربر منها سوى الإسم .

تاريخ الأمازيغ

ينسب النسابة الأمازيغ أصلهم إلى مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح وهم أخوة المصريون، فالأمازيغ عرق ينحدر من السلالة الحامية ومن فروعها الحامية الشرقية التى ينتسب إليها الأمازيغ والمصريون .

وكانت القبائل التي فيها الكثرة والغلب بعد دخول الإسلام أوربا وهوارة وصنهاجه من البرانس، ونفوسة وزناته ومطغره ونفزاوه من البتر ، وكان التقدم لعهد الفتح لاوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عدداً وأشد باساً وقوة، فهي التي حاربت العرب مع زعيمها كسيلة الذي كان ملكا على البرانس كلهم .

وأوربة هي التي استقبلت إدريس الأول وبايعته وجمعت الأمازيغ على دعوته، واجتمعت عليه زواغه ولواته وسدراته وغياته ونفزه ومكناسه وغماره وكافة بربر المغرب فبايعوه وائتمروا بأمره، وتم له الملك والسلطان بالمغرب وكانت له الدولة التي ورثها أعقابه، وكان ملك أوربة من ملك الأدارسة إلى حين انقراضه على يد قبيلة كتامة التي قامت بدعوة الفاطميين .وفي الوقت الحاضر فإن لغة أبنائها هي العربية وهي من بين القبائل التي تعرف بالبرانس، وقبائل أخرى كغياتة وهوارة وكتامة وصنهاجة لغتهم أيضا العربية. وهذا أمر عرف قديما

وليس خاصا بالأمازيغية و ابن تيمية الذي عاش في القرن 13 الميلادي قال في كتابه اقتضاء الصراط: "ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلهما رومية وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية عودوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ."

هناك بعض العرب المهاجرين قدموا من الشرق يحسبون حاليا على الأمازيغ وليس لهم لسان إلا الأمازيغية ولولا احتفاظهم بشجرة العائلة لما علموا أصلهم، كبعض الأدارسة والجعفريين، لذلك يمكننا الجزم بأن هناك بعض العرب ليست لهم شجرة العائلة لأنهم ليسوا من آل البيت وهم من الأمازيغ حاليا .

ومن الأمازيغ الذين لم يعرف أصلهم ونسبهم بعد قبائل بني صمغون جنوب غرب الجزائر في ولاية البيض الجزائرية ويقال أن جدهم الأكبر من اليهود الفارين من بيت المقدس بعد غزوه من طرف الملك بختنصر الذي طاردهم حتى إلى بلاد المغرب بعد مقتل النبي زكريا فوجدوا في أرض بلاد المغرب ملاذا آمنا ومستقرا هادئا بعد أن تم الترحيب بهم من قبل سكان بلاد المغرب المسالمين منذ الأزل فوفرت لهم البيئة المناخ المناسب للتعايش السلمي والمشاركة في نشاط الحياة اليومية فامتزجوا بهم واختلطوا لكن دونما تحريف للعادات والتقاليد فاسم جدهم الأكبر لم يغير إلا بعض الشيء في النطق المحرف من شمعون إلى سمغون كما أن اللهجة المحلية فيها الكثير من المصطلحات مغايرة للهجة البربر .

التقويم الأمازيغي

يحتفل نشطاء البربر منذ بداية ثمانينات القرن العشرين بما يسمى برأس السنة الأمازيغية التي جعلوها توافق اليوم الثاني عشر من السنة الميلادية .

ويقولون أن السنة الأمازيغية تبتدئ بعد تمكن ملكهم شيشنق من هزم جيوش الفرعون المصري الذي أراد أن يحتل بلدهم، وحسب قصتهم فإن المعركة تمت شرق المغرب أو غرب الجزائر قرب مدينة تلمسان الأمازيغية .

ويقولون أن أصل شيشنق إلى قبيلة المشواش، وهذه القبيلة من ليبيا الحالية وفي المغرب قبيلة تحمل اسم تمشوش قبيلة هي الأخرى معربة بط ن من بطون القبيلة الأم أوربة قد تكون هي نفس القبيلة المشواش .

ويعتقد المؤرخون أن هذا التقويم مخترع وليس له وجود في التاريخ، لأن الفرعون شيشنق لم يعاصر الفرعون رمسيس الثالث ويفصل بينهما أربعة قرون، كما أن الفرعون شيشنق لم يكن ملكاً للبربر وإنما فرعون مصري عاشت أسرته لمدة خمسة أجيال بمدينة أهناسيا، وكذلك لم يطأ في حياته أرض الجزائر، ولم يخوض الجيش المصري أي معركة عبر التاريخ قرب مدينة تلمسان .

بالنسبة لحياة الفرعون شيشنق راجع موسوعة مصر القديمة الجزء التاسع. تأليف: سليم حسن. القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول. 1952م .

الديانة :

إن الأمازيغ مسلمون سنة، يتبع أغلبهم المذهب المالكي و هناك أقلية من الإباضيين وهم من بني ميزاب في الجزائر والشلوح في جزيرة جربة بتونس وكذلك في جبل نفوسا بليبيا بالإضافة إلى وجود أقليات صغيرة جدا من المسيحيين عند القبائل في الجزائر .

تختلف العادات الأمازيغية من منطقة وحقبة زمنية إلى أخرى. عبد الأمازيغ القدماء كغيرهم من الشعوب الأرباب المختلفة، فبرز من معبوداتهم تانيث وآمون وأطلس وعنتي وبوصيدون .ومن خلال دراسة هذه المعبودات وتتبع أنتشارها في الحضارات البحر الأبيض المتوسطية يمكن تلمس مدى التأثير الثقافي الذي مارسته الثقافة الأمازيغية في الحضارات المتوسطية. ويمكن أعتبار آمون وتانيت نموذجين لهذا التأثير الحضاري .

آمون

يرى غابرييل كامبس أن آمون هو إله أمازيغي الأصل، لكن وجود شواهد على وجود إرهاصات عبادته في النوبة منذ عصور ماقبل التاريخ ترجح أنه إله أفريقي قديم عرفته في وقت مبكر جدا من تاريخ البشرية شعوب شمال أفريقيا ذات الأصل المشترك من مصريين وأمازيغ وربما النوبيين الذين نزحوا إلى المنطقى لاحقا .

عبد بعض البربر بعل حمون تأثراً بالبونيقيون الذين نقلوا عبادته إلى شمال إفريقيا من فينيقيا، والذي يعد أحد مشتقت بعل، كما عبده الأغريق نقلا عن الفينقيين وشخصوه بكبير آلهتهم زيوس كما شخصه الرومان في كبير ألههم جوبيتر وفي مابعد أحدثوا بينهم وبين آمون تمازجا .

كما يعتقد أن الإله الذي مثل أمامه الإسكندر الأكبر في معبد سيوة كان هو حمون، والذي لازال اسمه مستعملا إلى اليوم كاسم عائلات سيوية مصرية .

تانيث

تانيث هي تعنيت ربة الخصوبة وحامية مدينة قرطاج، وهي معبود مشرقية الأصل عبدها البابليون والآشوريين باسم عشتار وعبدها الكنعانيون باسم عناة .

وعندما انتقل الكنعانيون إلى قرطاج من صور جعله البونيقيون القرطاجيون أعظم ربات قرطاج وتأتي عشتار دائماً رفيقة لكبير ألهتهم بعل .

وقد انتقلت عبادتها من القرطاجيين إلى البربر بحكم التأثير الحضاري الذي مارسوه في شمال إفريقيا حيث نقلوا إلى البربر الذين كانوا يحيون حياة بدوية بسيطة بعض معارفهم في الزراعة والعمران بالإضافة إلى ديانتهم .

كما عبدها المصريون القدماء كأحد أعظم رباتهم وقد عرفت عندهم باسم نيث، وعبدت أيضاً من طرف الإغريق حيث عرفت بإسم آثينا المتأثرين حضاريا بالكنعانيين بشكل خاص وبالحضارة المشرقية المتمثلة في حضارة وادي النيل وبلاد الرافدين، وقد سميت أعظم مدينة إغريقية إلى هذه الربة أثينا .

أما تأثير هذه الربة في شمال إفريقيا يتجلى في ما يعتقده البعض من أن تونس قد سميت نسبة إلى هذه الربة تانيث، بحيث أن الاسم القديم لتونس كان هو تانيس مماجعلهم يعتقدون أن الإسم مجرد تحريف للثاء إلى السين. ويرجح المؤرخون أن هذه الربة قد عبدت في تونس الحالية حول بحيرة تريتونيس حيث ولدت وحيث مارس البربر طقوسا عسكرية أنثوية تمجيدا لهذه الربة .

إلى جانب هذه الآلهة عبد البربر أيضا الشمس وهو ماذكره هيرودوت وقد عرف لديهم باسم قرزل وكان له كاهن يقوم بحمله كشعار في حروبهم وإليه تنسب مستوطنة قرزة بليبيا وقد ذكر البكري بأن له نصب عند شاطيء قرب البحر سرت يجتمع عنده البربر ، كما مارسوا العبادة الروحية التي تقوم على تمجيد الأجداد كنا أشار إلى ذلك هيرودوتس .

واعتنق بعض البربر اليهودية وأيضا اعتنق بعضهم النصرانية واختار أغلب معتنقيها مذهبا مخالفا لكنيسة روما وهى الدوناتنية، ولكن ظل أغلب البربر على وثنيتهم حتى إنتشار الإسلام فاسلموا .

المسيحية

آمن الأمازيغ أيضا بالديانة المسيحية ودافعوا عنها بمؤلفاتهم من أمثال توتيلينونس وأرنوبيوس، كما برز أوغسطين كأحد أعظم آباء الكنيسة .

الإسلام

وآمن الأمازيغ أيضا بالديانة الإسلامية وقاموا بنشرها حتى أن أول المسلمين الذين غزوا الأندلس كانوا في معظمهم أمازيغ بقيادة طارق ابن زياد، وكان عميد فقهاء قرطبة صاحب الإمام مالك من البربر وهو يحيى بن يحيى بن كثير الذي نشر المذهب المالكي في الأندلس، والمخترع عباس بن فرناس أول من حاول الطيران، وغيرهم . ويمكننا أن نلمس مدى تشبث البربر بالإسلام والدفاع عنه في نص ماقاله ابن خلدون :

(وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعي الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات في الشدائد. وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وكسب المعدوم. وقرى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة وإباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه. فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبعيه من الأمم وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن قادتهم إلى مراقي العز وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الأيدي أيديهم ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم..)

(وأما إقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين لأحكام :دين الله لصبيانهم، والإستفتاء في فروض أعيانهم واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم، وتدارس القرآن بين :أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم، وصياغتهم إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم التماساً في :آثارهم وسوءاً للدعاء عن صالحيهم، وإغشائهم البحر لفضل المرابطة والجهاد وبيعهم النفوس من الله في سبيله :وجهاد عدوه مايدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم .)

اللبس والطبخ الامازيغي

جلابة و الَجرِد و البرنس وهي أقدم لباس امازيغي في شمال إفريقيا فيما يعتبر كسكسو او كسكسي أشهر أطباق الامازيغ و هو أيضا طبق يعود تاريخه إلى ما قبل الاسل

عادات الأمازيغ

العادات والتقاليد الاجتماعية روافد التأثير الإسلامي إلى الأمازيغية .

الأمازيغ لم يفهموا الإسلام بكيفية عميقة إلا عن طريق الترجمة من العربية، كما أنهم يتخذون أنواع العادات والفنون والإحتفالات وسائل للتلقين والإستيعاب. ومن أهم العادات التعليمية التي نذكر منها :*التعليم الليلي* و*عرس القرآن* و*بخاري رمضان* و*المولد النبوي* ثم *أدوال* بنوعيه: النزهة والسياحات .

التعليم الليلي

للمسجد (تيمزْكِيدَا) في حياة الأمازيغيين أهمية قصوى يؤكدها اعتباره *النادي العام لأهل القرية ولا يتخلف عنه إلا من لاخير فيه، ولأستاذ الـ مسجد احترام، وهو الإمام، والمؤذن (غالبا) وقارئ الحزب*، ومعلم الدروس المسائية لعموم أطفال القرية، الذين وجدوا في *التربية الإسلامية* بالأمازيغية عادات تحفزهم للتلهف على حضور دروس المسجد الليلية المختلفة عن الدروس النهارية التي تعلم الملازمين دراسة القراءة والكتابة باللغة العربية وحفظ القرآن،

فالليل يخصصونه للمراجعة عندما يتفرغ أستاذهم للدراسة الليلية التي تهتم كل مساء بتعليم الأطفال ذكورا وإناثا، وبالرعاة والحرفيين الذين لاوقت لهم للدراسة نهارا، وبهذه الدروس يتعلمون قواعد الإسلام، وأحيانا قد يضطر بعض الأساتذة لتغريم المتخلفين .

وللأطفال عادات يمارسونها تشوقهم إلى هذه الدروس الخاصة، كاعتيادهم الإنطلاق بعد صلاة المغرب في عموم أزقة القرية مرددين إنشادات جماعية بأصوات طفولية موحية تحث الصغار على الإلتحاق بالمسجد لتلقي الدروس الدينية، التي لا يتخلف عنها ذكورهم وإناثهم ما لم يبلغوا سن الإحتلام، وعادة ما يلتقي الجميع في الطريق المؤدي إلى المسجد فيكونون صفا واحدا حاملين الحطب (ليستعمل في الإنارة وتدفئة ماء الوضوء) وهم يرددون مرددات خاصة بتلك المسيرة. وقد ثمن *ديكو دي طوريس* هذه الدروس في إحدى ليالي سنة 1550م، التي شاهد فيها كيف يعلم بها الأمازيغيون أولادهم، وبعدما وصفها بدت له معقولة جدا *إذ بعد أن يرعى الأطفال قطعانهم طوال النهار يجتمعون عند المساء في منزل معلم، وعلى ضوء نار عظيمة يوقدونها بالحطب الذي حملوه معهم يستظهرون دروسهم* .

عرس القرآن

هناك عادات هيأها الأمازيغيون لتنتقل عبرها الأفكار الإسلامية من العربية إلى الأمازيغية بطرق غاية في التشويق والإيحاء. ومن أبرز تلك العادات *سُلُوكْت* التي تدعم الحضور الإسلامي في البيئة السوسية، فأثناءها يقرأ القرآن جماعيا، وتنشد قصيدتا *البردة والهمزية* للإمام البصيري، وكل ذلك باللغة العربية، ويتم فيها الشرح بالأمازيغية، لأن كل الفقهاء الأمازيغيين يفسرون معاني القرآن على قدر الطاقة .

إن *سُلوكْتَ* احتفال خصصه الأمازيغيون للطلبة كي يحضروا في جميع المناسبات، ويؤكدوا على حضور الإسلام في كل الممارسات، ولحضور مناسباتها يكون *الطلبة* قد *تهيأوا واستعدوا وتزينوا بأحسن ما عندهم*، ويستقبل مجيئهم بغاية الفرح والسرور، ويجلسون في أحسن مكان وعلى أجمل فراش، وتقدم إليهم أحسن أنواع الأطعمة، ويعبرون عن فرحتهم بحماسهم في أداء *تاحزابت*، وإنشاد شعر يمدح الكرماء في مايسمونه *ترجيز* . ويعتمد حفل *سلوكْتَ* على ثلاث دعائم: *تاحزّابت والبوصيري* وتّرجيز ، ولكل منها دور في التفاعل القوي بين الأمازيغيين والمتن الإسلامي .

تاحزّابت :

تاحزّابت نسبة إلى حزب القرآن الكريم، والمقصود بها نوع من أداء قراءة القرآن برفع الصوت بأقصى مافي حلوق الطلبة من قوة وتمطيط في القرآن جماعة في منتزهاتهم (أدوال)، أو في المواسم التي يتلاقون فيها. ولانراها بعيدة عن هدف تحريك مشاعر الأمازيغيين بطريقة إنشادية لمتن لايعرفون معانيه، ولكن طريقة إنشاده تخلق بجلالها تواصلا رائعا، ويتجلى تأثيرها البهيج على ملامح القراء الذين يؤدونها بحماس تجسده حركاتهم الموقعة بإيقاع طريقة القراءة، ويعبر عنه اندماجهم المطلق في الأداء، وكذلك ترحيب الناس وتشجيعهم لجودة القراءة. ولعل هذه الإحتفالية هي سر المحافظة عليها رغم ما واجههم من انتقادات، *وقد قاومهم كبار العلماء ولكن لم يفيدوا فيه شيئا*، وقد اهتم الشعر الأمازيغي التعليمي بالمتن القرآني، فنظمت أبيات ومقاطع بعضها خاص بالرسم القرآني، وبعضها بالتجويد. وكثيرا ماتنشد بالأمازيغية خلال حفل *سلوكت* القرآني .

البردة والهمزية :

لا وجود لحفل سلوكت بدون إنشاد رائعتي البوصيري :البردة والهمزية وإذا كانت تاحزابت قناة للقرآن في مجال التفاعل بين الإسلام والأمازيغيين فإن البردة والهمزية قناتان للمديح النبوي من تأليف الإمام البوصيري (ت 696 هـ . 1296 م)، اكتسبتا نوعا من القدسية التي يوحي بها تلازمهما لتاحزابت القرآن، ولأن الإعتقاد في قدرات القرآن امتد إلى كتب دينية مثل صحيح البخاري ودلائل الخيرات (للجزولي) اللذين يحظيان في شمال إفريقيا باحترام بالغ، إلا أن أهم مثال في هذا المجال هو : البردة التي ترجمت إلى الأمازيغية وتكتب بها التمائم، وتنشد عند الدفن وتكتب على جدران المساجد، وتعتبر مع الهمزية ملازمتين لسلوكت القرآنية أكثر من غيرهما من جل ماألف في المجال الإسلامي، ثم إن إنشادهما في نصهما العربي صار من أروع وأعذب الألحان التي يتأثر بها المستمعون في احتفالهم بالطلبة .

تّرجيز :

التّرجيز صيغة أمازيغية لكلمة الترجيز في العربية، والمقصود بها في حفلة سلوكت إنشاد الأشعار العربية بطريقة خاصة، إذ يبدؤها فرد واحد منهم ثم يرددها بعده الآخرون، ويتدخل آخر مضيفا أو مجيبا سابقه. ويمثل هذا الترجيز قمة التفاعل بين المستمعين الأمازيغيين الذين يجهلون العربية، وبين الطلبة الذين قد يدركون بعض معاني ما ينشدون، والعلاقة الجامعة للتأثر بين المستمعين والقراء هي طريقة الإنشاد مما له علاقة واضحة عند العارفين بطريقة إنشاد حوار العقول الشعرية خلال العرض الشعري في أحواش، ومن أجمل مايوحي بوجود تلك العلاقة، ذلك الشعور الغامر الذي يعكس فرحة التأثر بمقروء سلوكت نهارا، وفرحة التمتع بالشعر المنشد في أحواش ليلا، تلك العادة التي تواكب قراءة القرآن في تاحزابت

إنشاد الأشعار العربية في الإحتفال بالطلبة في المواسم الكبرى حيث يلتقي عشرات الحفاظ في مجموعات يخصص لها مكان معين في الموسم .وتتناوب المجموعات على قراءة ربع حزب من القرآن لكل جماعة على حدة، فإذا وصل دور مجموعة منهم جاء جميع الحاضرين، ووقفوا عليهم يحصون عليهم الأنفاس، فإذا مالوا ولو خطأ في وقف أو إشباع أو قصر أو توسط أو غير ذلك من أنواع التجويد صفق لهم جميع الحاضرين من الطلبة تشهيرا للسامعين بعظم الزلة، وربما سمع التصفيق العوام المشتغلون بأنواع الإتجار خارج المدرسة فيصفقون هم أيضا لما رسخ في أذهانهم من فظاعة ذلك .

إننا نسمع كثيرا من يقول عن سلوكت إنها تامغرا ن لقران، أي عرس القرآن، لأنها احتفال له مقوماته الخاصة. إننا فعلا في عرس لايهتم بمباشرة تبليغ خطاب ديني بالأمازيغية، ولكن جلاله وجماله والإعتقاد في حصول الثواب به هو الذي جعلهم يـقبلون عليه بكل حواسهم مخصصين له النهار كله كما يخصص قسط من الليل لاحتفال أحواش .يجب ألا نرى الإحتفال بالقرآن في عرسه تامغرا ن لقران مناقضا لاحتفال الرمز الشعري في عرسه :أحواش لأن العادات الأمازيغية تعتبرهما غير متناقضين، بل إن أحدهما يكمل الآخر بأداء وظائف محددة، ذلك أن سلوكت احتفال بكلام الله، وسنة رسوله وبحفّاظهما،

أما أحواش فاحتفال بفنية كلام العباد، وبنبل أعمالهم المعبر عنها بلسان الشعراء ءيماريرن ورِوايس إن سلوكت وأحواش احتفالان لاتتم بهجة مناسبة أمازيغية بدونهما، بل إن من عوائد المغرب وخصوصا سوسنا الأقصى، أن الأعراس والختمات القرآنية في الأفراح والإحتفالات عندهم سواء .

حفل الزفاف المغربي تشبث بالعادات الأصيلة

تخضع حفلات الزواج بالمغرب لمزيج من العادات والتقاليد التي تتباين كلما انتقلنا عبر مناطق وأرجاء المملكة المغربية، فعادات الشرق تختلف عن عادات الشمال، وعادات المدن الأصيلة كفاس ومراكش والرباط تختلف عن عادات المدن حديثة النشأة مع استحضار الفارق بين عادات كل من الفاسيين والمراكشيين وهكذا.

وإذا قدّر لك وحضرت عرساً "أمازيغيا" أو "صحراويا" فستكون حيال عالم آخر من المعتقدات في نظرتها للزواج، غير أَن القاسم المشترك بين كل هذه العادات هو الحرص على إعطاء كل ارتباط جديد بين رجل وامرأة قدسية خاصة تذهب أحياناَ إلى حد المغالاة في زيادة أيام الاحتفال على شاكلة ألف ليلة وليلة.

تحكي الجدات أحياناَ بحسرة عن الأيام الخوالي حيث كانت الأعراس المغربية تدوم سبعة أيام بلياليها، فيتحدثن عن جيل أصابه مرض السرعة حتى في لحظات الفرح، فالبعض قلّصها إلى ثلاثة أيام والبعض الآخر اكتفى بيوم واحد.

وبالرغم من تنوع عادات وتقاليد الزواج بالمغرب واختلافها من منطقة إلى أخرى، فإنها تشترك على الأقل في خطواتها الأساسية.

اليوم الأول

يخصص لحمام العروس، حيث ترافقها صديقاتها وبنات العائلة. وفي تقاليد سكان مدينة الدار البيضاء الأصليين يتم حجز الحمام العمومي خصيصا لذلك اليوم، فينظف قبل حضور العروس من قبل بعض نساء العائلة ويعطر بمختلف أنواع البخور، ويكون هذا اليوم يوما مشهودا؛ إذ تذهب فيه كل نساء العائلة برفقة العروس إلى الحمام.

اليوم الثاني

يخصص لحناء العروس، إذ أن نقش الحناء من العادات الإسلامية الراسخة في المجتمع، حيث يعتبر التخلي عن هذه العادة في المعتقد الشعبي نذير شؤم بالنسبة للعروس فيما يخص حياتها الزوجية.

اليوم الثالث

من أهم أيام حفل الزفاف المغربي، إذ فيه تزف العروس إلى زوجها، ولكن قبل ذلك يتم إحضار سيدة تتكفل بلباس وزينة العروس تدعى في اللغة الدارجة المغربية "بالنكافة"، والتي لا يمكن لعرس مغربي أن يمر من دونها. إذ تحرص هذه السيدة في ه ذا اليوم أن تلبس العروس في كل ظهور لها أمام الحضور (طلة) لباسا تقليديا مختلفًا يمثل بعض مناطق المغرب؛ كاللباس: الفاسي والشمالي والأمازيغي وبعض أنواع القفاطين، يضاف إلى ذلك بعض الأزياء الأخرى الدخيلة على حفل الزفاف المغربي، والتي شاع استعمالها مؤخرا، مثل: الزي الهندي والخليجي.

وأخيرا تكون "الطلة" الأخيرة للعروس بثوب الزفاف الأبيض الأوربي. وتُراعي "النكافة" مع كل تغير في نوع اللباس اختيار الإكسسوارات الملائمة لذلك، الشيء الذي يجعل هذا اليوم أشبه بحفل لعرض الأزياء، يرافق عادة عرض الأزياء هذا بانوراما موسيقية تعزفها إحدى الأجواق التي تكيف موسيقاها وأغانيها حسب نوع لباس العروس، فتكون خليطاً من الأغاني الشرقية والمغربية بشقيها العصري والفولكلوري.

وتختلف طريقة زف العروس إلى زوجها حسب المناطق المغربية، إلا أنه في الغالب تَزف على الطريقة الغربية، حيث تأخذ في سيارة فخمة تطلق أبواقها على طول الطريق الذي تقطعه.

ولا زالت العروس في البوادي المغربية تَزف في هودج يحمل على الأكتاف أو على ظهر حصان ويسمى باللغة الدارجة المغربية "العمارية". وعادة "العمارية" هذه لا يزال يحتفظ بها في مدن شمال المغرب، حيث يطاف بالعروس على الأكتاف في الأحياء المجاورة لتركب السيارة بعد ذلك نحو بيت زوجها.

إن الخطوات السالفة الذكر تجعل من الزفاف المغربي زفافاً مكلفا للغاية، حفاظا على المظهر الاجتماعي للأسرتين، وذلك من خلال الحفاظ على التقاليد التي يجب احترامها بتفاصيلها في حفل الزفاف التقليدي.

عادات وتقاليد النوبة

النوبيون أو النوبة قبائل تسكن المنطقة الواقعة في شمال السودان وجنوب مصر .وتمثل القبائل النوبية واحدة من المجموعات التي ترجع أصولها السلالية إلي السلالات القوقازية , بل قد تكون من أقدم الهجرات التي عرفت طريقها إلي الأرض الإفريقية عن طريق باب المندب . وكانت من بين الجماعات التي اقتطعت للقوقازيين أو طانا في أفريقيا . وينحدر النوبيون من حيث الأصول الثقافية من بقايا الجماعات الحامية التي كانت تنتشر علي أوسع مدي في مساحات كبيرة فيما بين شمال وشمال شرق وشمال غرب أفريقيا .

ويرجع اسم النوبة إلي الأصل المصري القديم "نوب" أو "نوبو" بمعني الذهب ،وهو احد الأسماء التي أطلقها المصريون القدماء علي النوبة الأصلية لوجود مناجم الذهب بجوارها مما أدى إلى كثير من الهجرات والرحلات التجارية والغزوات التي تعرضت لها بلاد النوبة منذ فجر التاريخ.

النوبيون أو النوبة وهي تلك الأراضي الملاصقة لنهر النيل من شمال أسوان إلي بلدة الدبة وكورتي ويقترب مساحتها من الألف كيلو متر ،والنوبيون في أوطانهم الأصلية شعب نهري يلتزم وادي النيل التزاما شديدا ،وذلك لاشتغالهم بالزراعة من جهة ،ولأن الطبيعة الصحراوية للأقاليم المتاخمة للنهر شرقا وغربا أرغمت السكان علي مضي القرون الطويلة أن تظل ملتزمة للنهر وللمساحات القليلة الصالحة للزراعة التي تحف به .

وتنقسم النوبة إلى النوبة السفلى والنوبة العليا، وتمتد النوبة السفلى . النوبة المصرية . حوالي 320 كم جنوب أسوان على جانبي النيل حتى الشلال الثاني عند وادي حلفا. أما النوبة العليا فتقع داخل حدود جمهورية السودان. ونتيجة لبناء خزان أسوان ومراحل تعليته والسد العالي تكونت بحيرة ناصر فوق منطقة النوبة القديمة مما أدى إلى الحملات المتتابعة من هيئات اليونسكو وما يماثلها لإنقاذ المعابد والآثار ومنها معبد أبو سمبل ومعبد فيله.

يمكن تلخيص أهم ملامح المجتمع النوبي في الآتي :

1)الأصالة والحرص على الهوية والتمسك الشديد بالجذور ، وخير دليل على ذلك المجتمعات النوبية القائمة حاليا في المهاجر سواء داخل السودان أو خارجه حيث ظلت متمسكة بتقاليدها وعاداتها بالرغم من أنها اقتلعت من جذورها منذ عهد بعيد ونقلت لبيئات تختلف تماما عن بيئتها الأصلية .

ويتهم النوبيين بعزوفهم عن الدخول في علاقات مصاهرة مع غير النوبيين ، ويرون في هذا نوعا من العنصرية . وبالرغم من أن هذا الاتهام قد يكون صحيحا إلى حد ما ، إلا انه لا يرجع إلى عنصرية النوبي أو رغبته في الانغلاق، وإنما لخلفيات تاريخية تمتد جذورها لعصور الممالك النوبية القديمة حيث كان الملك والثروة ينتقلان عن طريق الفرع الأنثوي من العائلة ابن البنت أو ابن الأخت ، لذا كان النوبي القديم يحرص كثيرا على اختيار من سيتزوج بابنته أو أخته باعتبار انه سيكون وريثه . ويبدو أن هذه الصفة قد ظلت ملازمة لنوبيين حتى الآن وان كانت قد بدأت في التلاشي مؤخرا .

جدير بالذكر هنا أن هذه العادة مرتبطة بزواج الإناث النوبيات فقط دون الرجال ، حيث لا توجد أية قيود على زواج الذكور وعموما ، أيا كانت الانتقادات الموجهة للنوبيين حول هذا الخصوص فإننا نعتقد بان شدة الانتماء لأصل معين والتمسك الشديد بأعرافه وتقاليده لا تعني مطلقا احتقار ما عداه من الأصول أو الثقافات الأخرى .

2)الحلم والوداعة وإيثار السلام على الحرب ، حيث يعرف النوبي بكرهه الشديد للعنف وحبه للمرح والابتهاج في كل الظروف . ولعل محاضر الشرطة خير دليل على ذلك إذ لم تسجل منذ إنشائها إلا أربع أو خمس جرائم قتل على امتداد المنطقة النوبية بأكملها . وعموما لا يعرف النوبيون العنف والشجار ويميلون دائما لحل مشاكلهم بالطرق السلمية وعبر الأجاويد والمجالس المدنية غالبا . هذه الصفة لا تتعارض بالتأكيد مع متطلبات الشجاعة والإقدام ، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار مواقف النوبيين في ظروف كثيرة كانت تتطلب الجرأة والبسالة.... والتاريخ خير شاهد على ذلك .

عموما ، يبدو أن النوبيين قد اكتسبوا هذه الصفة منذ زمن طويل عندما ودعوا مبكرا حياة البداوة والترحال واستقروا في مجتمعات مدنية متحضرة تلفها الطمأنينة والأمان .

3) الترابط الشديد وحبهم لبعضهم البعض ، حيث أن من المعروف عن النوبيين ارتباطهم القوي ببعضهم البعض أينما حلوا ، وعلى اختلاف طبقاتهم أو مراكزهم الاجتماعية . ولعل هذا ما يدعو البعض إلى وصف النوبيين أحيانا بالعنصرية ، وهو وصف غير صحيح على الإطلاق، إذ يدرك كل من خالط النوبيين وخبرهم أريحيتهم المشهودة وحبهم للاختلاط مع الغير وسرعتهم في تكوين علاقات اجتماعية متعددة في الأوساط التي يعيشون فيها .

ولعل هناك نوعا من الخلط بين الشعب "النوبي" وبين الجماعات التي يطلق عليها اسم "النوبا" (النوباو يون) سكان الجبال الواقعة في جنوب كردوفان ،فشعب النوبة شعب قديم والاسم نفسه قديم .أما "النوبا" كاسم لسكان جبال كردوفان الجنوبية فلا يعرفه السكان أنفسهم ،وهم يدعون أنفسهم أحيانا سكان الجبال ،ولكن التسمية السائدة هي أن كل شعبة تسمي باسمها الخاص ،دون أن يكون هنالك اسم جامع شامل لجميع سكان الجبال.

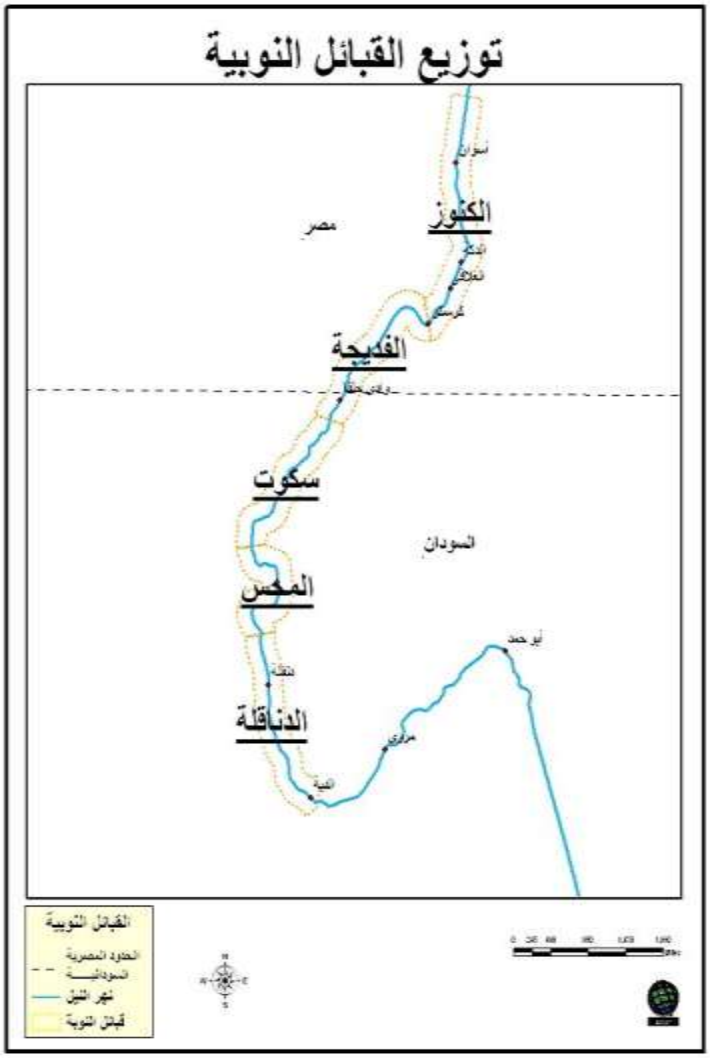
وتختلف طبيعة وادي النيل في بلاد النوبة من مكان لآخر : فالإقليم الجنوبي من الدبة إلي أبو فاطمة وكرما ،يشتمل علي وادي سهل متسع ،يغطية الفيضان في كثير من اجزائة مما يساعد علي بعض المشروعات الزراعية والنهر هنا سهل الملاحة معتدل الجريان . والي الشمال من أبو فاطمة يبدأ الشلال الثالث ويكاد يتصل بالشلال الثاني في مساحة تقترب من 400 متر وهذا الجزء به سلاسل عديدة من الجنادل وتتعذر فيه الملاحة وتقل المساحات القابلة للزراعة . والي الجنوب من وادي حلفا إلي جنوب أسوان يعتدل مجري النهر مرة أخري ، وتكون الملاحة فيه سهلة ميسورة ، وهكذا نري الأوطان النوبية النهرية تشتمل علي ثلاثة أقاليم رئيسية : إقليم سهل في الجنوب ،وآخر في الشمال ،ويتوسطها إقليم وعر كثير الجنادل والعقبات .

يتفرع النوبيون إلى عدة فصائل أو " بطون " صغيرة شأنهم في ذلك شأن معظم القبائل السودانية الكبيرة. سبب هذا التقسيم يرجع ربما إلى العامل الجغرافي وطبيعة المنطقة التي اقتضت توزع السكان في مجموعات صغيرة استقرت كل منها في جزء معين من الإقليم النوبي بعيدا عن المجموعات الأخرى بهدف تقاسم الموارد الشحيحة للمنطقة . وبالرغم من عدم وجود أية فروق جوهرية في العادات والتقاليد ما بين هذه البطون ، إلا أنه يمكن ملاحظة اختلافات طفيفة في اللهجة من منطقة لأخرى بدرجة طفيفة جدا لا يلحظها إلا النوبيون أنفسهم .

وعموما فإن النوبيين لا يكترثون كثيرا بهذه الفروق الطفيفة ، بل يرون أنفسهم - على اختلاف لهجاتهم – نسيجا واحدا لا يمكن التفرقة بين عناصره . ولعل روح الانتماء المشهودة لدى النوبيين وإصرارهم على التمسك بالأصالة هو ما ساعدهم على الوقوف في وجه المحاولات المتكررة التي تعرضوا – وما زالوا يتعرضون – لها لطمس هويتهم أو فصلهم عن الجذور .

وينقسم النوبيون إلي خمس مجموعات رئيسية :

الدناقلة في الجنوب مابين الدبة وأبي فاطمة (حول دنقلة) , ثم المحس والسكوت في إقليم الشلالات والجنادل ،ثم الفديجة ما بين وادي حلفا وكرسكو ،والكنوز في الجزء الشمالي الممتد من كرسكوالي أسوان .



الدناقلة :

يعيشون في إقليم يعد من أحسن ما اشتملت علية الأوطان النوبية ،فالنهر معتدل الجريان خال من الجنادل سهل الملاحة ويتسع السهل الفيضي ،مما يتيح للسكان فرصة للزراعة علي نظام ري الحياض ،ومع اشتغال الدناقلة بالزراعة نراهم من انشط الجماعات في السودان في التجارة وفي مختلف الحرف .

المحس :

أوطانهم تتخللها جنادل الشلال الثالث ،يضيق مجري النهر من آن لآخر ،بحيث لا يتسع للزراعة إلا بمقدار ضئيل ،ومع ذلك فهناك جهات يتسع فيها الوادي وتتيسر فيها الزراعة ،غير أن إقليم المحس والسكوت بوجه عام محدود الموارد ،وسرعان ما يضيق سكانه ،ولذلك كثرت الهجرة من هذا الإقليم أكثر من غيره .

السكوت :

هم اصغر المجموعات النوبية عددا ،والمعلومات عنهم قليلة ،وتنتهي أوطانهم إلي الجنوب من وادي حلفا وبذلك تكون أوطان المجموعات الثلاثة (الدناقلة المحس والسكوت) واقعة كلها في السودان ؛ وان كان المحد س في العادة يتجهون إلي مصر في هجراتهم أكثر مما يتجهون إلي السودان .

الفديجة :

هي مجموعات كبيرة من المحس والسكوت هاجرت في أوقات الأزمات أو هربا من الإرهاق من النزاعات كما في وقت النزاعات المهدية أو سعيا وراء الرزق ،فاتجهوا بجموعهم إلي الشمال من وادي حلفا ،ونزلوا علي ضفتي النيل الشرقية والغربية بين تلك المدينة وبلدة كرسكو .

الكنوز :

أوطانهم كلها داخل مصر ،وشكلهم الطبيعي في معظم الأحيان لا يكاد يختلف في شيء عن سكان الوجه القبلي في مصر ،وقد نجد بينهم في كثير من الأحيان أشخاصا يمتازون بالملامح العربية الوسيمة ،وذلك يرجع إلي أن هذا الإقليم قد تحول إلي مستعمرة عربية إبان الفتح العربي لمصر ونزلتة قبائل عربية وهو أول إقليم زالت عنه سلطة ملك النوبة المسيحي وتحول في وقت متقدم إلي الإسلام .

سبب تسمية هذا الإقليم :

إن هذا الإقليم في عهد الفاطميين كان ينتمي إلي "أبو المكارم بأمر الله " ويعرف" بالأهوج المطاع" ،وهو الذي ظفر ب "أبي ركوة" الخارج علي" الحاكم بأمر الله " وقبض عليه ،فأكرمه الحاكم إكراما عظيما ولقبة "كنز الدولة " فانصرف الاسم إلي أتباعه ورعيته ولازم الاسم سكان هذا الإقليم إلي وقتنا هذا .

وقد جرت عادة النوبيين وعلي الأخص في النصف الشمالي من بلادهم علي التمييز بين الضفتين الشرقية والغربية وسكانهما ،فيدعون الجهات الشرقية وسكانها "ماتوكي" ،والجهات الغربية وسكانها "تينوكي " .وهي قد تعني أن سكان البر الشرقي قد جاءوا من الشرق ،وسكان البر الغربي جاءوا من الغرب ،وليس يبدو هناك أي فرق جوهري في أية ناحية من النواحي بين سكان الشرق والغرب ،والأمر لا يعدو التمييز بين الضفتين الشرقية والغربية

صفات النوبيون

الشعب النوبي شعب قوقازي ووصف سليجمان النوبي بأنه :

1) القوام النحيل ، متوسط القامة (160–170) .

- الرأس مستطيل بارز من الخلف .
- الأنف معتدل .
- الشفاه معتدلة .
- بشرته سمراء سمرة تكون في كثير من الأحيان خفيفة أو في لون الحنطة .
- شعرهم مموج في الغالب برغم وجود حالات شاذة .

فهي من السلالة التي ينتمي إليها المصريون القدماء .وهي فرع من الجنس الذي يطلق عليه اسم جنس البحر المتوسط لانتشاره في أوربا وإفريقيا علي سواحل هذا البحر

الأحوال الثقافية و الاجتماعية

أ) :الأحوال الثقافية :

اللغة :

النوبية هي لغة نيلية صحراوية من الفرع السوداني الشرقي في جنوب مصر وشمال السودان، وكان معظم الناطقين بها يسكنون في وادي النيل في ما أصبحت بحيرة ناصر بعد بناء السد العالي جنوبي أسوان.

يتحدث أهل النوبة اللغة النوبية بالإضافة إلى القليل من اللغة العربية الغير جيدة والإنجليزية بالنسبة للجيل القديم أما الآن فيتحدث الجيل الحالي العربية بطلاقة مع لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية بحكم اختلاطهم بالسائحين والزوار الأجانب.حيث يمتازون بالذكاء الحاد وسرعة البديهة بالإضافة لشهرتهم بالأمانة والإخلاص والوفاء..

وتنقسم اللغة النوبية إلى قسمين أساسين :

الكنزيه و هي لهجة (الكنوز والدناقلة) ، الفادجيه وهي لهجة (الحلفاوين والمحس والسكوت) ، ويقسمها البعض إلى أربع لهجات (كنزي) و(سكوتي) و (محسي) و (دنقلاوي) ومهما يكن من أمر فاللهجات النوبية هي التي يتكلمها الآن الكنوز والسكوت والمحس والدناقلة. ومع هذا التقسيم فان هذه اللهجات متقاربة وليس هناك فروق جوهرية بينها وان كانت الدنقلاوية شديدة الشبه بالكنزية برغم المسافة الواسعة التي تفصل بينهما (اللهجتان المحسية والسكوتية تتوسطانهما) .

وتنبع لغة النوبيين من أصول حامية ،وقد استخدمت الحروف القبطية فترة من الزمن في تسجيل هذة اللغة ،وما يرتبط بها من تراث . عايشت اللغة النوبية خلال فتراتها المختلفة العديد من اللغات المختلفة منها ما يشاركها الأصل والنسب ومنها ما يبعد عنها في الأصل (كاللغة المصرية القديمة "القبطية –الهيروغليفية" ، لغات البجا ، اللغة الرومانية ، اليونانية ، ولغات أخري كثيرة). ولاشك أن كل واحدة منها تركت أثارها على الأخرى مع تفاوت قوة التأثر والتأثير بقوة اللغة وضعفها، وقد استطاعت اللغة النوبية وسط هذا الكم الهائل من اللغات أن تفرض سيطرتها وان تثبت بقوة أمام تيارات الصراع المختلفة .

وكان التحول من بعد دخولها في الإسلام إلي استخدام الحروف العربية ولم يكن إدخال الألفاظ العربية علي اللغات النوبية يحمل معني الغزو ،ولكن كان من قبيل الثراء وتقدر الكلمات والمفردات العربية فيها بحوالي 23% من ثروتها اللفظية .

ويحرص النوبيون علي تعلم اللغة العربية واستخدامها علي مستوي لغة التخاطب ،ومن غير لكنة تبدلها آو تفقد المستمع الإحساس بها والتجاوب معها .ويكون استخدامها خارج الديار ولدي مخالطتهم لمن يستخدمون اللغة العربية .أما اللغة النوبية فهي للاستخدام المحلي في إطار أوطانهم ،وداخل بيوتهم الخاصة وحياتهم الأسرية.

وصمود اللغة النوبية أمام هذه التيارات المختلفة دليل على قوتها وثرائها فالعربية مثلاً وهي لغة القران والسنة ورغم قوتها لم تستطع أن تبيد اللغة النوبية أو تزيلها وان جعلتها تنكمش وتنحصر في منطقة ضيقة من مناطق نفوذها السابقة. وبنفس القدر استطاعت اللغة النوبية أن تترك أثارها الواضحة في عربية السودان فقد غزتها وأشبعتها بمفردات نوبية عديدة ،ومازال الصراع بين النوبية والعربية مستمراً ومازالت اللغة النوبية تقاوم سطوة اللغة العربية ومحاولة الطغيان عليها.

أما إشارات بعض الدارسين والمتكلمين إلى أن النوبة لهجة وليست لغة فهو أمر ليس بصحيح وذلك أن اللهجة هي: ألانحرافي الصوتي عن مستوى صواب اللغة وذلك كاللهجات العربية (العاميات العربية) المتكلمة في كل البلاد العربية مثلاً فهي لهجات منحرفة عن صواب اللغة الأم (اللغة العربية). وعلى ذلك يمكن قياس اللهجات النوبية المتكلمة الآن بأنها انحراف صوتي عن مستوى صواب اللغة الأم (اللغة النوبية) فلا يمكن الحديث عن لهجة أو لهجات دون أن تكون لها لغة أم انحرفت عنها

2) الديانة :

أعتنق النوبيين المسيحية في القرن السادس الميلادي واستمروا علي المسيحية حتى القرن الرابع عشر الميلادي دخلت بعض البطون العربية القادمة من الجزيرة العربية مثل بني ربيعة وبني جهينة وكانت قبائل كنز الدولة أكبر القبائل وأقواها وحدث اندماج بينهم مع النوبيين في قري الإقليم عن طريق المصاهرة فانتشرت اللغة العربية والإسلام.

ب) الأحوال الاجتماعية :

الرقص والغناء :

لعل من أهم ما يميز الرقص الشعبي النوبي أنه رقص جماعي يشترك فيه الرجال والنساء من كل الأعمار، وارتبط عدد من هذه الرقصات بمواسم الزراعة والحصاد ،ومن أشهر الرقصات النوبية (الأراجيد).

الزواج وإنجاب الأطفال:

رغم أن الزواج في النوبة مسئولية الوالدين، إلا أن العم والخال يشتركان كذلك في تحمل المسئولية نظرا لأن نظام القرابة النوبي نظام مزدوج يجمع بين النسب من الوالدين الأب والأم.

وزواج الفتى من ابنة عمه يعتبر أمرا خاصا، لدرجة أن مهر الفتاة يكون أقل بكثير إذا تزوجت ابن عمها أو خالها عما لو تزوجت خارج الأسرة، وهنا يتفاوت المهر من قبيلة لأخرى.

ويحرص النوبيون على تقديم النقوط والهدايا العينية لأسرتي العروسين تعبيرا عن الود والتعاطف والمساعدة على إقامة حفلات الزواج الباهظة التكاليف.

والمرأة النوبية من عاشقات المشغولات الذهبية على عكس البدوية، التي تفضل الفضة أحيانا. ففي الأعراس نجد العروس وقد غطاها الذهب من رأسها إلى قدميها كعلامة على الثراء، فهي تزين رأسها بأساور تعرف بـ« الجاكيد» وأذنها بـ »البارتوى .«

وأكثر ما يميز الذهب النوبي «الزمام»، وهو قرط يعلق في الجزء الأعلى من الأذن والطرف الآخر يوضع في طرف الأنف ويجمع بينهما سلسلة.

وأخيرا يوضع في القدم زوجان من الحجل يطلق عليهما «الخلخال»، وبرغم ارتفاع أسعار الذهب لم تندثر هذه العادة، وقد تلجأ بعض الأسر إلى الاستعارة من القريبات أو استخدام ما يطلق عليه« الذهب القشرة» حتى تكتمل الصورة .

«لليلة الحناء» أو« الكوفرية » كما يطلق عليها في اللغة النوبية اهتماما خاصا من العروسين وأهاليهما.فهي تبدأ من صباح يوم الزفاف وتمتد لسبعة أيام، وتكرس للملابس التي يرتديها العروسان، حيث يرتدي العريس جلبابا أبيض من القطن وشالا من الحرير وعمامة بيضاء على الرأس، ويضع في قدميه خفا أحمر اللون يسمى«مركوب» بالعربية. أما في الحياة اليومية، فهو لا يرتدى سوى اللون الأبيض أو البني منه.

كما يفتخر العريس . أحيانا . بحمل السيف والخنجر في هذا اليوم علامة على الشجاعة والرجولة، أما العروس فتتحلى بثلاثة أنواع من الأغطية، واحد شفاف للوجه والثاني ملون فوق الرأس، والأخير من القماش الأبيض الثقيل يغطى به الرأس بالكامل.

ونظرا لأن النيل يشكل عنصرا محوريا في الثقافة النوبية، فإنه يتعين على العروسين أن يهبطا إليه ليلة الزفاف، ويغتسلا بمياهه أملا في جلب الخير وإنجاب الأطفال .

وعندما يرزق الأبوان بطفل ذكر ، يحتفل بيوم سبوعه حيث تذبح ذبيحة وتتلى الآيات القرآنية ويختار اسمه. أما إذا كانت المولودة أنثى فيقتصر حفل السبوع على دعوة الأصدقاء ويذهبون بصحبة الوالدين إلى شاطئ النيل وهناك يعطى للبنت اسمها .

وبسبب العزلة الجغرافية واللغة الخاصة والوضع الأمومي تشكلت حتمية ألا تتزوج الفتاة النوبية إلا من "داخل القبيلة" فقط، وليس من أهل النوبة ككل، ففي بدء الأمر لم تكن النوبية تتزوج إلا من داخل الأسرة، وبعد ذلك من داخل القبيلة.. فمثلا لم تكن النوبية من" الكنوز" تتزوج من نوبي من "الفديجة"كذا، وفي المقابل كان ولا يزال من حق الفتى النوبي أن يتزوج من يشاء دون أن يكون ملزما بالزواج من النوبيات.

زواج مبكر :

ومن عادات وتقاليد الزواج في النوبة أيضا أن السن النموذجية الذي يتزوج فيه الشاب النوبي يتراوح ما بين 18 و22 سنة ، أما الفتاة فتتزوج وعمرها ما بين 15 و 20 عاما ويعد العريس "الجهاز والموبيليا"، وعلى عكس الشائع يكون مقدم الصداق أقل من مؤخره، ويتراوح بين خمسة جنيهات إلى 15 جنيها ويكون بين أسرتي العروسين في العادة اتفاق داخلي على مقدم الصداق وغيره .

على الرغم من المظاهر والمبالغات والمساومات التي تحدث، تنحر الذبائح بكثرة ملحوظة بمنزلي العروسين، وإذا كانت هناك جنازة قبل مرور سبعة أيام على الزواج فلابد أن يخرج العروسان ويشهدان الجنازة قبل دخول أحد المشيعين عليهما، وإذا مر موكب عرس آخر على منزل العروسين قبل "السبوع"

فإنهما يخرجان ويصاحبان الموكب ولا يدخلان منزل العرس الثاني بل إن "العروس" ترسل أصغر أطفال الأسرة وعليها حلية صغيرة كتعبير رمزي عن مشاركة أفراد وأهل العرس الثاني الأفراح.وإذا كانت والدة العريس أو العروس قد سبق لها أن جاملت إحدى الأسر الأخرى بالمشاركة في أفراحها وهي بكامل حليها الذهبية وجب على هذه الأسرة المعاملة بالمثل .

الطلاق عند أهل النوبة :

أما بالنسبة للطلاق فتندر حالاته بالنوبة إذ جرى العرف على اعتبار الطلاق من المكروهات كراهة شديدة، ولا يطلق الزوج زوجته إلا في حالات محدودة ولأسباب ودوافع قوية مثل الأمراض المستعصية التي قد تصيب أحدهما أو اليأس من الإنجاب أو ما شابه ذلك، فالنوبيون يقدسون الحياة الزوجية ويحترمون بيوتهم وحياتهم الخاصة ولا يفرطون في أزواجهم بسهولة.

المباني السكنية:

وتتميز البيوت النوبية بأنها واسعة المساحة ، ومبنية من الطوب اللبن، كما تتكون البيوت من قبب في السقف ، تجعل البيت تكييف طبيعي في الصيف كما أنها تمتص البرودة في فصل الشتاء ، كما أن له العديد من الأبواب منها باب يسمى باب السر وهو يقع بجوار مطبخ المنزل مخصص للنساء فقط .

يتكون البيت النوبي في العادة من : المدخل – الفناء (الحوش السماوي)– غرف النوم (القباوي) – المخزن – المطبخ (الديوكة) – المرحاض – المزيرة.

الفن النوبي دلالاته ورموزه:

يعكس الفن النوبي الخصوصيات الثقافية النوبية، ويتضمن رموزا تعكس دلالاتها معتقدات شعبية وسحرية. ويظهر ذلك في الوشم والرسوم الجدارية التي تزين واجهات المنازل ومداخلها، وكذلك مشغولات الخرز وزخارف مشغولات السعف والخوص من سلال وأطباق وحصير وغيره. وكثيرا ما تحمل العناصر الزخرفة دلالات معنوية وسحرية، فالسيف يرمز للبطولة والشجاعة، ويوحي الهلال والنجمة – وهما رمزان إسلاميان - بالتفاؤل، وكذلك توحي القطة السوداء بالتفاؤل، أما الغراب والبومة فهما رمزا شؤم وخراب، في حين ترمز الزهور والورود للصداقة والمحبة أما الإبريق وسجادة الصلاة فيرمزان للطهارة والنقاء.

الزى النوبي :

يحظى الزى النوبي بجاذبية خاصة لدى المصريين والأجانب على حد سواء، فمفرداته وأشكاله تعكس الكثير من ملامح الحضارة الفرعونية. كما أنه زى خاص يشبه طبيعة أهل النوبة، وقراهم البيضاء الواقعة في أقصى الجنوب على ضفتي نهر النيل، وتتخللها أشجار النخيل من كل جانب، حب النوبي لهذه لألوان انعكس على كل شيء في حياته، وظهر هذا جليا في ملابسه، واهتمامه بها، إلى حد انه كان لا يرتدي بعضها إلا في مناسبات معينة لها طقسها الخاص.

فللزى النوبي أسراره التي تتواءم مع تراث النوبة الثقافي والاجتماعي» «من ينظر إلى أزيائهم يشعر فورا بحبهم وإقبالهم على الحياة بشتى صورها، ويبدو هذا واضحا في أثواب النساء اللاتي يتفنن في تطريزها بأيديهن، وتفتخر كل واحدة بعدد الأثواب التي قامت بإعدادها سواء لها أو لأي من أفراد أسرتها، أو كهدايا تقدمها في مناسبات سعيدة»، إن «الرجال : قد يكونون أقل حظا من النساء، حيث يتوحد زيهم في أغلب المناسبات باستثناء الأعراس.

أما بالنسبة للمرأة :، ونظرا لكونها صاحبة الحظ الأوفر في التنوع على حسب العمر والحالة الاجتماعية، فنجدها قبل الزواج ترتدي الجلباب مطرزا بالألوان الخفيفة والهادئة، حتى لا يكون لافتا للأنظار، وبعد الزواج ترتديه بتطريزات غنية وبألوان زاهية يغلب عليها الأحمر، الذي لا يسمح لها بارتدائه قبل الزواج. أما الجلباب الذي ترتديه في المنزل فيكون من القطن وبلا تطريز.«

وعلى الرغم من أن كل نوع يختلف عن الآخر في تطريزه وألوانه وخامته، إلا أنها كلها متشابهة في ارتداء «الجرجار» فوق الملابس، والجرجار، بفتح الجيم، عبارة عن ثوب محاك من قماش التل الأسود الرقيق، ومزين برسومات منمنمة بنفس اللون، أشهرها ورق العنب والهلال والنجمة قديما، واليوم تنوعت لتشمل القلوب والورود والعديد من الأشكال الأخرى.

ولا تنسى أغطية الرأس فهناك «الشاش» وهو شال أبيض خفيف تطرز أطرافه ببعض الرسومات البسيطة، ويوضع على الرأس وينسدل ليغطى الظهر. في العادة ترتديه المرأة في المنزل، أما عند خروجها فترتدي الشال وهو غطاء أسود، مطرز بألوان زاهية.

ثالثا :النشاط الاقتصادي :

شعب دائب النشاط سعيا وراء الرزق،ويرغبون في طلب العلم ،ولديهم مهارة فائقة في تعلم اللغات .ولعل هذا كله يفسر لنا انتشارهم واستيطانهم فيما بين الخرطوم ودلتا النيل .

ويتفوق الدناقلة علي سائرا إخوانهم النوبيين في الصفات التي تدفعهم إلي السعي والمخاطرة في الأوطان الغريبة . ولا شك في أن السبب الأول في تفرق شملهم يرجع إلي فقر بلادهم ،إذ علي الرغم من أنهم قوم مزارعون حيثما تهيأت الظروف الزراعية في بيئتهم ،حيث تطغي الصحراء علي القسم الأكبر من وطنهم حيث يضيق الوادي فلا يكاد يبلغ عرضه بضعة ياردات علي ضفة النهر .

الطوطم الإفريقي

او الوثن الإفريقي انه نوع من عبادة الأوثان او التقرب إليها علي كل حال ولكن من يعبد الطوطم؟

من بين الشعوب الإنسانية نجد ان القبائل الأفريقية الأكثر تخلفاً مازالت تنهج هذا المنهج في العبادة فهم ينحتون من جذوع الأشجار أشكالا ربما تكون وجوه وربما تكون كائنات وربما تكون حيوانات ثم يلونونها بألوان زاهية غالباً تكون خليط من الألوان الغير متجانسة المنفرة

وتضع القبيلة الطوطم في مكان مميز وسط قراهم ويتجهوا اليه بالعبادة وتقديم القرابين

كيفية عبادة الطوطم الافريقي:

غالبا يتقربون الي الطوطم بانواع غريبه من العباده فمن تقديم القرابين التي تكون غالباً حيوانات وطيور او حلي ومتاع وقد تصل الي تقديم ارواح بشريه فقد تراق دماء بشريه امام الطوطم ليرضي عنهم ويكون المسؤل عن عبادة الطوطم هو ساحر القبيله وهو المسؤل الاول عن ارضاء الطوطم وطرد الداوا ((الشر والسحر)) بعيداً عن القبيله ويحرم علي اي شخص الاقتراب من الطوطم او لمسه او تصوير فقط ساحر القبيله هو من يستطيع الاقتراب من الطوطم ولمسه وهذا التابو صريح وحازم جداً فقد تصل عقوبة مس الطوطم الي الموت

.

الصلاة للطوطم:

في مواسم معينه يكون واجباً تقديم فروض الطاعه والولاء للطوطم كي يرضي عنهم وحتي لايصب علي القبيله كلها غضبه وحتي يباركهم وغالباً تكون هذه المواسم تعلقه بفصول السنه وبالجفاف والخصوبه والامطار والكوارث والموت هنا يكون واجباً التقرب للطوطم وذلك بالرقص والتواثب حول الطوطم ويعرف هذا اليوم بيوم عبادة الطوطم حيث يستعدون له بالاقنعه والثياب الغريبه ثم يبداوا في رقص تمثيلي معبر ربما يرمز لقصه معينه او لاسلافهم السابقين وكيف كانوا يتسارعون لارضاء الطوطم وينتهي كل هذا الرقص وهذه الموسيقي بتقديم القرابيين للطوطم.



عادات وتقاليد قبائل الولوف والبظان

الولوف وهي مجموعة عرقية تتو اجد في اساسا في غرب إفريقا في كل من سنغال وموريتانيا وغامبيا وهم في غالبيتهم مسلمون بنسبة 90 % ويتكلمون اللهجة الولفية.

في السنغال حيث يقطن غالبة الولف، يشكلون 40 % من مجموع السكان، ويتركزون في المناطق من دكار حتى مدينة سينلوى شمالا وكذلك في الجنوب الغربي من مدينة كولخ، رغم محدودية انتشار الولف في هذا البلد إلا ان 80 % من السكان هناك يتكلمون اللهجة الولفية وإن لم ينتمو الي عرقية الولف في الأصل.

و في غامبيا يشكل الولف حوالي 15 % من مجموع السكان حيث يتواجدون في العاصمة بانجول حيث ان كل من إثنين ينتمى عرقية الولف ومع ذلك فهم اقلية في هذا البلد مقارنة من المجموعات العرقية الأخرى.

في جنوب موريتانيا تقطن اقلية ولفية مقارنة بالبلدان الأخرى حيث يمثلون فقط 7% من السكان.

البظــان ؟

بين المحيط الأطلسي في الغرب وحوض تاودني في الشرق، والنهر السنغالي في الجنوب ووادي الذهب في الشمال، سكن شعب من قديم الزمان، كحكاية عجيبة ضاع راويها، يدعى شعب المور.وكان أول من أطلق عليه هذه التسمية هم الرومان حين هزموا القرطاجنيين قبيل ميلاد المسيح عليه السلام، بعد معاركهم الطاحنة مع «حنا بعل» وإحراق قرطاجة والسيطرة على الشمال الإفريقي وإطلاق تسميات موريتانيا على أجزاء منه في المنطقة الجغرافية التي تشمل مناطق شاسعة من المغرب العربي الحالي.

كان شعب المور مميزا في صفاته حسب الرحالة والمؤرخين، رغم اختلافهم في طريق هجراته وأصوله، وميلهم إلى أن أغلبه قادم من اليمن، ومن هجرات فينيقية، إلى جانب سكان أصليين يتميزون بصفات الإنسان الذي سكن منطقة الصحراء والسفانا، إلا أن هؤلاء المؤرخين والرحالة القلة اتفقوا على إطلاق بعض الصفات المميزة لهذا الإنسان بعد أن أنضجته الصحراء في أتونها، حيث قالوا إنه عرف بالقدرة الفائقة على التكيف مع الصحراء، وأنها باحت له بأسرارها عبر الأزمنة، ونوهوا بصبره الذي لا يقل شأنا عن صبر الجمال التي يتخذها سفنا لصحرائه. كما عرف عن هذا الإنسان اتصافه بصلابة عوده في القتال، والذكاء الحاد، والقيافة، وتوسم الأنواء، والمهارة التجارية، وتسيير القوافل الكبيرة عبر مسالك الصحراء المهلكة من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال. هذا الشعب القديم ا لذي سميت به البلاد حينا من الدهر، عرف لاحقاً مع المرابطين وبعد المرابطين بتسميات أخرى مثل: الملثمين، والمرابطين، وصنهاجة.. وكان ذلك بعد دخول الإسلام مبكرا إلى هذه الأرض، في المائة الأولى للهجرة، على الأرجح، ثم نشوء دولة المرابطين في الحيز الترابي ابتداء من مطلع القرن الرابع الهجري.

بعد سقوط دولة المرابطين في المغرب على أيدي الموحدين استمرت الدولة المرابطية متماسكة شيئاً ما لقرون لاحقة، ثم تحولت لاحقاً إلى مشيخات وأنظمة اجتماعية وإنتاجية، متأثرة بنظم الدولة المرابطية لم تنتهج نهج الدولة المرابطية في أول عهدها عندما كانت على شكل زاوية مرابطة، مقيمة في جزيرة تدعى «تيدره»، بقيادة المعلم عبدالله بن ياسين. وإذاكان بعض المؤرخين المحدثين يعتقدون أن تلك جزيرة الرباط الأول، الذي نال منه المرابطون تسميتهم، كانت شمال العاصمة الموريتانية الحالية،

فإنني أميل إلى قول آخر يفيد أنها موجودة في منطقة «الزيره» قرب شاطئ نهر صنهاجة (النهر السنغالي حاليا)، حيث تتوفر المياه العذبة وتتطابق صفاتها مع صفات الجزيرة التي وصفها المؤرخون، إذ تدور بها المياه في فصول من السنة، وهي مناسبة للإقامة الدائمة، بينما لا يمكن أن تعيش أية مجموعة بشرية مهما كانت صلابتها في مكان لا توجد فيه مياه عذبة.

لذا أستبعد الفرضية القائلة بأن جزيرة «تيدره» الحالية هي مكان الرباط الأول للمرابطين.

أما التسمية التي هي حجة القائلين بالرأي الأول فهي تدل في الصنهاجية على المقبرة، فأي مقبرة حيث كانت تدعى «تيدره»، ولذلك قد يكون اللبس الحاصل في أذهان بعض المؤرخين المحدثين نتيجة توارد في التسمية الحالية، فالصفات الطبيعية والجغرافية للمكان الذي التأم فيه أول رباط، ينطبق على شبه الجزيرة الموجودة في أقصى الجنوب الغربي من موريتانيا على شاطئ نهر السنغال(الزيرة)، مما يرجح احتمال سقوط الاسم عنها عبر التاريخ؛ بينما تحتفظ الجزيرة الموجودة شمال نواكشوط بالتسمية الملتبسة، التي قد لا تعني أكثر من أنها مكان مقبرة من المقابر الكثيرة.

إن القرائن كلها تجعل احتضان جزيرة «تيدره» الحالية لأي حياة بشرية مستقيمة أمرا مستحيلاً، فلا مياه إلا مياه المحيط الأطلسي المالحة، والجزيرة متصفة بالجفاف والقحولة، وندرة الأمطار ، وهي أمور يستحيل معها أي تجمع بشري قار في التاريخ.

الهوية التاريخية:

بدايات الوحدة والتشكل السياسي

كانت البداية المرابطية الصحراوية هي أولى لبنات تشكل الدولة الموحدة ذات الكيان السياسي، كما أنها أولى التجسيدات الفعلية للوجود العربي الإسلامي المعروف والمتواتر لما يعرف بالدولة ذات السلطان الواحد، حسب ما يستتشف من كتاب «الإشارة في تدبير الإمارة» لمحمد بن أبي بكر الحضرمي المرادي الذي كان قاضي المرابطين في عاصمتهم الوسطى «أزوغي» وتوفي فيها 589هـ. (أزوغي)، تعني بالصنهاجية، إما المتاب: مكان التوبة، وإما مركز الحكم

كان نشوء كيان الدولة المؤسس تاريخيا، ضمن فضاء مفتوح توجد على تخومه الجنوبية ممالك زنجية مثل غانا في أقصى الجنوب الشرقي من موريتانيا حاليا، وممالك وثنية ولفية في السنغال حاليا، وقد عرفت الدولة المرابطية في موريتانيا أكثر من عاصمة فلئن كانت العاصمة الأولى –حسب المؤرخين– هي مدينة »أزوكي» بجبل صنهاجة،«آدرار» حاليا، مقابل عاصمتهم الشمالية «مراكش». فإن عواصم أخرى ظهرت في التاريخ لنفس الدولة مع تمدد هذه الدولة إلى الجنوب والجنوب الشرقي من موريتانيا حاليا، وكانت مدينة «تغذ أوغست» (الجنوبية، بالصنهاجية) في الوسط الموريتاني، إحدى العواصم، ثم «كومبي صالح» في الجنوب من البلاد حاليا، مما يعني ارتحال العاصمة مع زحف الصحراء جنوبا، إلى جانب عوامل أخرى جيوبوليتيكية وتجارية .

وقد أطلقت تسميات مختلفة بعد تلاشي الدولة المرابطية من الأرض، حيث أطلق بعضهم «بلاد التكرور» على أجزاء منها، مثل صاحب كتاب «فتح الشكور في علماء التكرور» وأطلق البعض الآخر التسمية التي عرفت للأرض الموريتانية في المجالين الغرب أفريقي والمجال العربي الإسلامي، حيث سموا بالشناقطة نسبة إلى شنقيط، المدينة الأثرية التي كانت منطلقاً للركب الحجي، ومحطة رئيسة للقوافل التجارية الكبيرة الجوابة للصحراء والساحل.

ولا شك أن عوامل عديدة لعبت دورها في ارتحال العاصمة المرابطية كما ذكرنا آنفاً، من أهمها العامل المناخي، حيث يعتقد أن سبب خراب «تغذ أوغست «تحديدا كان شح المياه، وجفاف الآبار في المدينة. كما أن تبدل قيم المواد وأهمية تجارة الذهب، وطرق القوافل أثرت تأثيرا متتاليا في تشكيل خريطة المدن الموريتانية حينها، كما لم يزل لزحف الصحراء أثره المشاهد إلى اليوم على خراب المدن من سكانها بسبب قساوة زحف الصحراء، على بعض المدن، وسهولة العيش في بعضها الآخر،

مما يحول السكان تدريجيا إلى المدن الساحلية الكبرى مثل نواكشوط العاصمة الحالية للبلاد، ومدينة نواذيبو العاصمة الاقتصادية، أو في المدن الآمنة من زحف الصحراء على شاطئ نهر السنغال، والمدن الريفية الداخلية في الوسط والشرق. فإذا كانت الظروف المناخية تخلق هذا التحيز السكاني رغم تطور وسائل النقل، وتوفر وسائل العيش المستقر حتى في المدن الصحراوية فكيف لا يكون الأثر أبلغ في الماضي؟

نظرة في الهوية التاريخية:

حسب المعطيات المتوفرة حتى الآن يبدو أن التاريخ المرابطي (التاريخ المؤسس لكيان الدولة الموريتانية) قد وقع في هوة بين نوعين من المؤرخين :

أولا: مؤرخو الدويلات في الأندلس:

إذا كان مؤرخو الدويلات بالأندلس قد أعجبوا بقوة شكيمة المرابطين وقدرتهم على هزيمة الفرنجة، فإنهم نفروا من جلافة هؤلاء المقاتلين الملثمين، وبعدهم عن التمدن ورقة الطباع التي تميز بها الأندلسيون، رغم ما جرت عليهم من هوان، فكتب مؤرخو الدويلات هؤلاء عن المرابطين من منطلق التنافر في الأذواق والطباع، ولذلك لم ينصفوهم، ولم يبذلوا الجهد الكافي في فهم حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما هي.

ثانيا: مؤرخو الدولة الموحدية:

اجتهد مؤرخو الدولة الموحدية في كتابة تاريخ مجحف بالمرابطين، ابتداء من مطلع القرن السابع الهجري، بداية الدولة المهدية (المهدي بن تومرت) التي حاربت الإرث المرابطي بكل ضراوة، ولم يشذ مؤرخو المرحلة عن هذا المسار كما يتضح من خلال قراءة ما تركوه .إن هذا الوضع البيني لتاريخ المرابطين يسمح لنا بالقول إن تاريخهم –الذي هو في نفس الوقت– فاتحة تشكل أول نظام سياسي جامع أعطى للبلاد الموريتانية صفة التوحد الثقافي، والشخصية الحضارية،

وهيأ للتوحد الديني والمذهبي، والسياسي– ضاع بين العدوتين (الدولياتية والموحدية).ومع ذلك يمكننا أيضا أن نجزم بأن الصحراء الموريتانية مثلت محمية طبيعية للدولة المرابطية ونظمها الاجتماعية، وطرائقها في الفتوح، بعد قضاء الموحدين عليها في الأندلس والمغرب، حيث حافظت على وجهتها الجنوبية إلى إفريقيا السوداء، في نشر الإسلام وعلوم العربية.. وهي عادة اكتسبها الموريتانيون إلى يومنا هذا، بفارق وحيد هو أن الدعوة أصبحت سلمية وعن طريق التجار ومشائخ الدعوة، والعلماء، ولم تعد فتحا بالسيف وأعراف الخيل وسنابكها.

موجة الهجرة الحسانية الهلالية إلى موريتانيا:

فاتحة الصراع على المرجعية السياسية وتشكل الإماراتخلال القرن الثامن الهجري بدأت هجرات الهلاليين الزغبيين، وبني حسان، تصل إلى موريتانيا، بالتدريج، قادمة من أحواز مراكش والجزائر عبر خطين: ساحلي وصحراوي، وأخذت هذه القبائل في الاستقرار، حيث طابت لهم البلاد لتشابه تضاريسها مع تضاريس بلاد الهجرة الأولى، وقد أدى هذا الاستقرار إلى احتكاك القبائل الوافدة بقبائل الزوايا الصنهاجية الأصلية منها، والقبائل المهاجرة من الأندلس بعد هزيمة المسلمين هناك وخوفهم من عبور القشتاليين الإسبان للعدوة الدنيا والتنكيل بهم، كما فعلوا في غرناطة وغيرها، فاحتموا بالصحراء لتأمين أنفسهم.أثناء هذا الاستقرار وقعت نزاعات عديدة بين السكان السابقين والوافدين الجدد، وقد كان أهم احتكاك حفظه المؤرخون، وكان له تأثير تأريخي ملحوظ على المراحل اللاحقة من حيث التشكل الاجتماعي والسياسي للبلاد، وهويتها الثقافية،

ذلك الاحتكاك الذي بين المغافرة من بني حسان بقيادة هدي بن أحمد بن دامان المغفري التروزي، وبين مجموعة كبيرة من قبائل الزوايا، بقيادة الإمام ناصرالدين الشمشوي. وقد انتهت الحرب التي سميت «شر ببه» (حرب ببه) وببه هذا اسم شخص غني نشبت الحرب بسببه في سبعينيات القرن الحادي عشر الهجري، وكرست تقسيما معينا أصبحت فيه السيادة السياسية للمغافرة، على حساب قبائل الزوايا و أبناء عمومة للمغافرة هم أبناء رزق، حيث انزاح الرزقيون جنوبا وعبروا النهر السنغالي بعد معركة «انتتام» سنة 1040هـ، أي قبيل حرب الزوايا والمغافرة بأكثر من عقد من الزمن.

وقد أسس المغافرة –بعد أن استتب لهم الأمر– أربع إمارات، شغلت –إلى جانب إمارة صنهاجية واحدة ابتداء واثنتين انتهاء– الحيز الترابي الموريتاني الحالي بإضافات ترابية في المناطق المجاورة من مالي والسنغال.

والإمارات المتشاكلة في بنيتها السياسية وأنظمتها الإنتاجية والاجتماعية هي: إمارة الترارة في الجنوب الغربي، إمارة البراكنة في الجنوب الأوسط، إمارة أولاد مبارك في أقصى الشرق و الجنوب الشرقي، وإمارة يحي بن عثمان في الشمال. وقد بقيت الإمارة الصنهاجية الوحيدة في وسط البلاد حينها، رغم جهود المغافرة في محاولة القضاء عليها، لكنها ظلت صامدة إلى النهاية، و الإمارة هي إمارة إدوعيش، التي أسسها أحفاد أبي بكر بن عامر اللمتوني المرابطي، خاصة منهم ذرية أعمر بن محمد بن خونا.

استمر التقسيم السياسي للبلاد على هذا النحو بين الإمارات المغرية والإمارة الصنهاجية باستثناء واحد، هو اختفاء إمارة أولاد مبارك على أيدي أهل المحيميد (مشظوف)، المنحدرين من إمارة إدوعيش المرابطية، حيث أسس أحمد محمود بن امحيميد إمارة جديدة بعد استيلائه على الحوض في سنة 1272هـ،1861 م، في معركة حاسمة انتصر فيها على آخر أمراء أولاد مبارك هناك.

أما الإمارات الأخرى فقد استمرت حتى دخول الاستعمار الفرنسي إلى موريتانيا ابتداء من سنة 1902م، على يد المستعمر كبلاني، الذي أطلق الاسم الحديث القديم «أرض البظان» أو «موريتانيا» على البلاد. وقد قتل كبلاني هذا من طرف الشريف سيدي ولد مولاي الزين وكوكبة من أهل التناكي من قبيلة إديشلي، وذلك في مدينة «تيجكجه» سنة 1905م، وكان ذلك أول تتويج بارز لجهد مقاومة الاستعمار كما كان إذكاء لنارها في جميع أنحاء البلاد إلى غاية سنة 1934م.

تأصيل الهوية :

مقاومة عسكرية ومقاومة ثقافية

عند دخول الاستعمار نشبت مقاومة حربية ضارية، خاضتها مجموعات كبيرة من الموريتانيين، من قبائل الشوكة أو ممن حمل السلاح لمقارعة هذا الاستعمار، رغم أنه ينتمي للزوايا، وكان من أبرز هؤلاء الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي، وأحمد ولد الديد التروزي، وبكار ولد اسويد أحمد أمير تكانت في حينها و الذي استشهد في معركة «الأبيض» مع الفرنسي افرير جاه سنة1905 م، وسيد أحمد ولد أحمد عيده أمير «آدرار» من أبناء يحيى بن عثمان، الذي استشهد في معركة «وديان الخروب» ضد الفرنسيين سنة 1932م، والشيخ ولد عبدوك المشظوفي في ظهر النعمة بالشرق الموريتاني، وعلي ولد مياره الرقيبي في تيرس، وغير هؤلاء كثير.

وشهدت البلاد مقاومة من نوع آخر للاستعمار الفرنسي صمدت بعد إسكات الفرنسيين للمقاومة العسكرية، وهي المقاومة الثقافية، حيث استطاع المجتمع الموريتاني أن يخلق آلية للعيش في مجاله الخاص دون الاستناد إلى الفرنسيين في تلبية أي من احتياجاته الأساسية وحتى الثانوية.

وفي هذا الصدد احتفظ الموريتانيون بقضائهم الشرعي الأهلي لفض المنازعات وحفظ الحقوق أيا كانت طبيعتها، وبذلك وقع الاستغناء عن القضاء الذي نصبه الفرنسيون في الغالب، رغم وجود قضاة موريتانيين شرعيين نصبهم الفرنسيون في المدن والاستحكامات التي أنشؤوها أحيانا.

وفي مجال الطب استمر الاعتماد على طب أهلي تقليدي يمارس الجراحة والتطبيب بالأعشاب بصورة جيدة، وتمت مقاطعة المستشفيات والمستوصفات الفرنسية، ولذلك تطور الطب التقليدي الموريتاني وعرفت فيه مدارس ذائعة الصيت مثل مدارس: أهل أجود، وأهل أوفى، وأهل المقري، وغيرهم.

وفي مجال التعليم تم الاستغناء بالتعليم المحظري عن التعليم الفرنسي، وقد عرفت البلاد الموريتانية تجربة نادرة في هذا النوع من التعليم، حيث واصل المجتمع الاعتماد على مناهج التعليم التي كانت متداولة قبل دخول الاستعمار وكأن شيئًا لم يكن، وكان ثمة نظام كفالة اجتماعي للطلاب، وثمة مستويات عديدة من التعليم، من أدنى المستويات إلى أعلاها، فازدهر تدريس علوم العرب والمسلمين ولم يتراجع كما خطط لذلك الفرنسيون. وكان من المثير للانتباه ذلك الاهتمام المتفاوت لدى المناطق الموريتانية بالاختصاص في هذه العلوم عبر التاريخ. من ذلك مثلًا: اهتمام سكان المناطق الشرقية والوسطى بعلوم القرآن قراءة وتفسيرا، فأتقنوها إتقانا، وتعاطوا مع العلوم الأخرى باهتمام أقل

بينما ارتكز اهتمام المناطق الجنوبية الغربية والغربية الساحلية على علوم العربية صرفاً ونحوا، كما اهتموا بعلوم البلاغة والبيان، وعلوم البرهان، والفلك والجغرافيا والجبر، والتاريخ، وانتشر فيهم الشعر أكثر من انتشاره في المناطق الأخرى. ومن هذا الانتشار جاءت التسمية التي أطلقها بعض النقاد العرب على موريتانيا بعد اكتشافهم للحركة الشعرية فيها مطلع القرن العشرين بأنها بلاد المليون شاعر، واعتبرها بعضهم حلقة مفقودة في تاريخ الأدب العربي، انبهارا بشيوع الشعر في هذه البلاد، سواء كان شعرا فصيحا أو شعرا شعبيا بالحسانية. وقد كان لنشر الوسيط في تراجم أدباء شنقيط بداية القرن العشرين في مصر، وضعف الشعر العربي حينها، وكون أغلب الشعر القوي في هذا الكتاب كان من قرض أدباء القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين أدى إلى الإعجاب بالشعر الشنقيطي على ذلك العهد. وقد أسهم علماء شناقطة في تهيئة أمهات الكتب العربية كالأغاني والقاموس المحيط، وصبح الأعشى، ولسان العرب لابن منظور، للتحقيق والتصحيح والنشر، ودواوين شعرية عربية كثيرة حيث كان بعضهم يحفظ هذه الكتب الضخمة في ذاكرته، فكان الباحثون الأوائل، وسدنة الأدب والشعر يلجؤون إليهم أثناء رحلات الحج، أو خلال تدريسهم في المعاهد والجامعات العربية العريقة والمساجد، فكان لهؤلاء الشناقطة حضور مميز في مجامع الحرمين، والجامع الأزهر، والعراق، والأستانة عاصمة الدولة الإسلامية، ودمشق، والقرويين، وجامع الزيتونة، والأردن، ووصل الترحال ببعضهم إلى رئاسة مجلس بعثة علماء الدولة العثمانية في سفارة إلى ملك السويد حينها. وقد ذكر كتاب بارزون من بينهم طه حسين ومحمد عبده تأثير هؤلاء الشناقطة على الحركة العلمية والأدبية في زمنه. عرف الموريتانيون صنفاً آخر من المقاومة الثقافية، وهي مقاومة القيم والعادات الاستعمارية حيث احتفظوا بنمط أخلاقي ينأى عن أي تقليد للفرنسيين، رغم كل الإغراءات التي أتاحوها واستدرجوا إليها من وصلت إليه أيديهم فلم يفلحوا .وترتبت على هذه القطيعة الأخلاقية قطيعة اجتماعية فوجد الفرنسيون ومن ينخرط في سلكهم الإداري أو العسكري، أنفسهم، في عزلة اجتماعية مطبقة لم يستطيعوا كسرها إلا في استثناءات قليلة تثبت القاعدة.

وفي النهاية كانت العلاقة التي رضخ لها الاستعمار هي العلاقة الجبائية، والتي كان الموريتانيون يخضعون لها على مضض عبر نظام وسطاء، ممقوتين، يأخذون العشر على قبائلهم باللتيا والتي. لكل هذه العوامل لم يستطع الاستعمار أن يخترق الهوية الثقافية الموريتانية العربية الإسلامية، رغم محاولاته الكثيرة، واحتياله، ووشايته بين المكونات الثقافية الموريتانية من عرب وأقليات زنجية، ولقد شهد التاريخ لهذه الأقليات بشجاعة نادرة في الاحتفاظ بدينهم الإسلامي، وبتدريسهم للعربية، وكتابتهم للغاتهم الشعبية بالحرف العربي، وقد وصل الأمر إلى حد قيام ضباط فرنسيين بإحراق أكثر من عشرين مكتبة يملكها علماء من هذه القوميات نكاية بهم لانشغالهم بالعربية وعلوم الإسلام، حيث كانوا يتصورون أن إسلامهم رقيق بحيث يمكن التأثير فيهم بالتبشير، كما نجحوا في ذلك داخل بعض القبائل الوثنية في السنغال وبلاد أخرى من غرب إفريقيا.

وقد استمرت القوميات الزنجية الموريتانية على نهجها الإسلامي، وأصرت على كتابة لغاتها بالحرف العربي، وهو ما استمر إلى غاية إصلاح التعليم الموريتاني سنة 1981م في عهد الرئيس الموريتاني الأسبق محمد خونا ولد هيداله الذي سمح بكتابة هذه اللغات بالحرف اللاتيني، وهي لغات:(السوننكي، والبولار، والولوف)، مستجيبا لضغوط بعض المتفرنسين الأفارقة، الذين سعوا للفصل بين القوميات الإفريقية وفضائهم العربي الإسلامي، دون أن ينجحوا في هذا المسعى إلى يوم الدنيا هذا.

التنوع القومي في موريتانيا:

تتساكن في موريتانيا أربع قوميات هي القومية العربية، والقومية السوننكية، والقومية البولارية، والقومية الولفية.

أولا: القومية العربية:

وهي المجموعة الناطقة بالحسانية. والحسانية لهجة بني حسان، وهي لهجة عربية بدوية قحة، استطاعت أن توحد المجموعات التي تسمى البياضين، وهم من بيض وسمر، وقد استطاعت هذه اللهجة أن تقضي بالتدريج على اللغة الصنهاجية التي كان يتداول بها عدد كبير من الموريتانيين إلى عهد قريب، وبدأت تختفي من الألسنة التي كانت تنطق بها. وقد دمجت هذه اللهجة بعض المصطلحات والأوزان الصرفية الصنهاجية في لحمتها التداولية، فغلبت المصطلحات الصنهاجية على أسماء الأماكن، وبعض الأشجار، وأسماء الحيوانات، التي لم تكن موجودة في الفضاء العربي، أما البقية من المصطلحات فهي عربية فصيحة، وتمثل حوالي 80٪ من مصلحات الحسانية.

تبلغ القومية العربية الناطقة بالحسانية حوالي 84% من التعداد الإجمالي للسكان الموريتانيين.

تتألف هذه القومية عرقيا من قبائل ذات أصل عربي، وأخرى ذات أصل صنهاجي، وأخرى ذات أصول زنجية صنهاجية مختلطة.كان يسود في هذه المجموعة نظام اجتماعي حرفي الانتماء، فكل من حمل السلاح صنف في قبائل الشوكة، وأضيف لصف الإمارة السياسية أيا كان أصله العرقي

وكل من حمل القلم والدواة والقرطاس عد من قبائل الزوايا أيا كانت مجموعته الأصلية. وكل من احترف الصنعة كالخراطة والصياغة والحدادة والنجارة.. عد من فصيلة الصناع، وكل من امتهن الرعي وتنمية المواشي وترك السلاح والتعلم عد من فصيلة الرعاة. وكل من امتهن الزراعة بالسخرة أو بالأجر عد قنا.

وقد تلاشت هذه البنية الاجتماعية الآن ولم يبق منها سوى بعض العادات والتقاليد المتلاشية، حيث غلبت على المجتمع علاقات من نوع جديد هي العلاقات المدنية العصرية.

تسود في هذه المجموعة عادات اجتماعية من بينها العزوف عن تعدد الزوجات، واحترام المرأة، ومشاركتها في الحياة النشطة، قديما وحديثاً، حيث تعتبر في غالب الأحوال امرأة عاملة، تنسج الخيام، وتقوم على بيتها في غياب رب الأسرة، ويسمح لها بالتعلم إلى أن تصل إلى أعلى الدرجات سواء في المجتمع التقليدي أو المجتمع المعاصر.

تغلب على العادات الاجتماعية الموريتانية طبيعة المحافظة، والاعتزاز بالعادات والتقاليد الخاصة بهم، وهي مسألة ترجع حسب الاستقراء التاريخي إلى صعوبة التكيف مع الطبيعة، والأخطار المحدقة بالإنسان عندما يخطئ في تقدير أي أمر داخل وسط صحراوي شحيح الموارد، أغلب أخطائه قاتلة، ولا يسمح فيه للفرد بالخروج على المجتمع، وإلا عوقب بالنفي والعزلة الاجتماعيين.

لهذه المجموعة البشرية آدابها العربية والشعبية الفصيحة، وتتميز ثقافتها الشعبية خاصة بالثراء والتنوع، وسعة الخيال، كما تحوي ملخصا للتجارب والحكمة الخاصة بهذه المجموعة. إضافة لفن موسيقي مشبع بالألحان والنغمات.

القومية البولارية:

تعتبر هذه القومية من أكثر القوميات الزنجية الموريتانية عددا، وهي مجموعة قومية تتكلم «البولارية»، وتنقسم إلى صنفين: الفلان، وهم قبائل يعتمدون على رعاية البقر وتنميته، وهم رحل في الغالب، رغم استقرارهم المؤقت في بعض الأكواخ والتجمعات. وهؤلاء يقولون إنهم من القبائل الحميرية القديمة، عن طريق انتمائهم لبعض قبائل لمتونه، وتعرف هذه المجموعة بالأنفة، وقوة الشكيمة، والأخذ بالثارات، ويميل بعض الإتنولوجيين إلى أنهم ينتمون للعنصر النيلي.

أما المجموعة الثانية فهي مجموعة «الهال بولار»، وهم سكان القرى والمدن، وينقسمون اجتماعيا وسياسيا نفس التقسيم النمطي للقومية «المور («البياضين)، حيث توجد فيهم مجموعتان هما مجموعة «توردو» وهم يشغلون وظيفة الزوايا، في المجتمع العربي الموريتاني، ومجموعة «الهاليبه» ويشغلون وظيفة المحاربين لدى جيرانهم.

أما التقسيمات الحرفية الأخرى فهي موجودة فيهم بنفس النمط وصور العلاقات الاجتماعية، باستثناءات في العادات والعلاقات الاجتماعية الأسرية، حيث يسود في هذه المجموعة نظام تعدد الزوجات على نطاق واسع، كما يشيع فيهم نوع من عدم احترام المرأة وتقديرها، غالبا.لهاتين المجموعتين أدب شعبي يصاحب الموسيقى، يحذو حذوها، ويتماشى معها.

تميل هذه المجموعة إلى ممارسة الصيد النهري وزراعة الأرض، والتجارة. ويعرف عنها نوع من الاعتداد بالنفس والنبل الأخلاقي، وعدم التسامح مع الخصوم.

وتنتمي هذه المجموعة عرقيا –حسب الإتنولوجيين– للجنس الزنجي الغرب إفريقي الذي تنتمي إليه قومية» الولوف« ، خلافا لإخوتهم في اللسان (الفلان)، ويتضح ذلك في الفروق الواضحة بين الطرفين في لون البشرة وتقاسيم الوجه.

قومية السوننكي

هي قومية إفريقية متقادمة في البلاد، رغم أنها هي القومية الزنجية الثانية في موريتانيا. وهي قومية ناطقة بلغة تختلط فيها الصنهاجية والآزيرية، لكنها مع ذلك لغة مستقلة عن اللغتين.ولهذه القومية علاقات قوية تاريخيا بالقبائل الصنهاجية، حيث يعتبرون أنفسهم من بين هذه القبائل مع سحنتهم السوداء.

وتتميز هذه المجموعة بخصائص عديدة من بينها: المسالمة، والإخلاص في العمل، والصدق، والصرامة في صرف الأملاك، والميل للمحافظة على العادات إلى درجة الانغلاق على الذات أحيانا، والخبرة الفائقة في التجارة، ولهم عادات وتقاليد أبوية مفرطة في تقدير عامل السن خاصة لدى الرجال، مع انتهاج نظام عائلي صارم لا يحيد عنه كبير ولا صغير. ومن المسائل الخاصة بالسوننكي صعوبة اللغة، حيث يتعلمون هم لغات القوميات التي تساكنهم، بينما لا تستطيع هذه القوميات أن تعرف لغتهم.

قومية الولوف

هي القومية الزنجية الثالثة، وتتميز هذه القومية بالانفتاح على الآخر، وعدم الانغلاق على الذات، ولغتها لغة بسيطة التراكيب، قليلة المصطلحات، مما يجعلها سهلة التعلم من طرف غيرهم.

وهذه المجموعة تنتمي لنفس العرق الذي ينتمي إليه البولار رغم الاختلاف الواضح في الطبائع والعادات والتقاليد، ويعرف عنهم المرح، وحب الاطلاع، وطيب المعاشرة والمعايشة، وبياض الجنان.

يعتمدون في حياتهم على الزراعة والصيد في المحيط الأطلسي وضفة النهر السنغالي، ولديهم منظومة أخلاقية أبوية التوجه، تميل لعدم الاعتراف بمكانة مرموقة للمرأة، وليس لهذه المجموعة القومية تقسيم حسب السلاح والعلم، وقد انتشر الإسلام بين أوساطها عن طريق التصوف أكثر من غيرها من القوميات، وكانت حديثة العهد نسبيا بالوثنية رغم النقلة النوعية التي اكتسحتها في انتشار الإسلام بين أوساطها، وتعتبر المجموعة الموريتانية من هذه القومية امتدادا لعمق سكاني كبير لها في السنغال.

هذه القوميات الزنجية الموريتانية الثلاث، وهي مسلمة مائة بالمائة، ومن بين المنتسبين إليها علماء أجلاء في الشريعة الإسلامية وعلوم العربية، وشيوخ صوفية كبار، نشروا الإسلام في غرب إفريقيا، وقضوا على الوثنية المنتشرة فيها ووفقوا في ذلك توفيقًا كبيرا.

خصائص وإسهامات موريتانية:

إذا تساءلنا عن الإضافات والإسهامات التي تخص الموريتانيين في فضائهم العربي الإسلامي فيمكن أن نوجز ذلك في النقاط التالية:

كتابة رغم الارتحال:

استثناء للقاعدة الاجتماعية التي تقول إن البدو الرحل يكونون أميين في العادة، فإن الموريتانيين كانوا يكتبون ويؤلفون وهم ينتجعون المراعي، ولا يقيمون في مكان واحد أكثر من أسبوع، على مدار السنة، إلا نادرا.

وإذا عدنا إلى تفاصيل الحياة اليومية لهؤلاء البدو لاحظنا انهماكهم في القراءة والكتابة والتعليم جل الوقت، خاصة بالنسبة لغالبية السكان وهم الزوايا، كان منصبا على القراءة والكتابة والحفظ. ولذلك كانوا يتحدثون عن الرجل يذهب في أثر إبله ولوحه في يده، ينظر فيه تارة، وينظر إلى آثار إبله تارة دون أن يضيع أيا منهما، وهو يحفظ درسه أو يراجعه. إن حالة الكتابة هذه قد تكون على الأرجح حالة استثنائية، أسهم بها الموريتانيون في إثراء التجربة الحضارية العربية الإسلامية على نحو لا لبس فيه.

شعر قوي في فترة انحطاط عام:

من المعطيات التاريخية أن فترة الانحطاط الشعري قد امتدت من نهاية العهد العباسي إلى بداية النهضة العربية الحديثة مع شعراء أمثال البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم والرصافي.

ثقافة شعبية عالمة:

إذا عدنا إلى الثقافة الشعبية الموريتانية فسنلاحظ دون عناء أنها تحوي أغلب مضامين ومفاهيم العلوم الإسلامية والعربية، حيث نظموا هذه العلوم بالتفصيل في شعرهم الشعبي، أو خلدوها في أمثلة، ولذا ترى الأمي الأبجدي القادر على سرد سيرة ابن هشام، وأنساب العرب، لأنه يحفظها في أدبه الشعبي، كما يحفظ قواعد النحو، وأسس المقرأ والتجويد القرآني، ومعضلات الفقه المالكي السائد في هذه الأرض، والعقائد الكلامية.. وغير ذلك.

إن هذه الثقافة الشعبية تعتبر بهذا المعنى عالمة نتيجة المضمون المبثوث داخلها، والذي يسهل حفظه على أي كان.ولذا فإننا نعتبرها إضافة موريتانية للثقافات الشعبية العربية، الخالية في الغالب من هذا البعد العلمي الإسلامي الدقيق.

عادات وتقاليد قبائل الهوسا

يمتد الموطن التقليدي لقبائل الهوسا من جبل الهواء في النيجر إلى منطقة جوس بلاتو في وسط نيجيريا ، ومن بحيرة تشاد مروراً بإمبراطورية السونغاي القديمة على طول وادي نهر النيجر وهي المنطقة التي تعرف حالياً باسم جمهورية مالي التي عرفت من قبل باسم إقليم السودان الأوسط.

ومن المعروف أن كلمة هوسا كانت اسم اللغة التي تتحدثها القبائل المنتشرة في هذه المنطقة التي ما لبثت أن عرفت بهذا الاسم منذ القرن السادس عشر. وحتى ذلك الحين كانت تعرف بأسماء مدنها أو ممالكها المختلفة ، ومن الطريف أن لهجة الهوسا تصنف على أنها واحدة من فصيلة اللغات الآفرو – آسيوية ، ورغم ذلك فإن من يتحدثون بها اليوم ليسوا جميعهم منحدرين من عرق واحد.

إن أبناء قبائل الهوسا الموزعين على مساحة جغرافية واسعة يعتبرون المجموعة العرقية الكبرى بالأقاليم الشمالية لنيجيريا أو كما يشار إليها عادة باسم (الشمال الأقصى) أو (مسلمو الشمال) فيما تدعى المجموعة العرقية التي تليها في الحجم باسم (فولاني) ولأن قبيلتي الهوسا والفولاني ترتبطان بعلاقات وثيقة ، فإن النيجيريين اعتادوا على القول بأنهما مجموعة قبلية واحدة ، ومع ذلك فإن البعض منهما يعتبر أن كلام منهما متميز عن الآخر ، وعلى سبيل المثال ما زال الكثير من الفولانيين يفتخرون بحياة البادية ورعي القطعان ، وينأون بأنفسهم عن الاستيطان وممارسة مهنة الزراعة التي تميزت بها الهوسا.

وبما أن قبائل الهوسا والفولاني كانت تعيش متقاربة ، فقد نشأت بينهما علاقات تزاوج ، كما ظهرت بينهما سمات ثقافية مشتركة ، فعلى سبيل المثال ، ومع أن اللغة الأولى لقبائل الفولاني كانت تعرف باسم فولفور ، فإن أفراداً منها يتكلمون لغة الهوسا كلغة ثانية ، الأمر الذي يعزز التكامل العرقي بينهما.

ولم تستقبل قبائل الهوسا المهاجرين من الشمال فحسب ، لكن البعض يعتقد أنهم هم أنفسهم هاجروا إلى الجنوب من منطقة الصحاري إلى أرض غنية بالأعشاب فراراً من الجفاف والنزاعات مع المجموعات العرقية المنافسة الأخرى بمن فيهم بربر الطوارق.

إن هذا التنقل سهل لقبائل الهوسا الاحتكاك بالمجموعات القبلية التي كانت تقطن أقصى جنوب الصحراء الأمر الذي فرض على هذه المجموعات تبني لغة الهوسا وعاداتها ، ومع أن البعض يرى أن قبائل الهوسا من أصل عربي من العراق إلا أن آخرين يقولون إنها كانت قبائل تمتهن الزراعة وصيد السمك والصيد البري على طول الشاطئ الغربي لبحيرة تشاد.

الحياة السياسية:

تعتبر الفترة من عام 1000 إلى 1500 للميلاد العصر الذهبي بالنسبة لتطور منطقة غرب أفريقيا حيث كانت فترة توسع وازدهار تجاري بين المدن والدول والإمبراطوريات وفي جنوب شرق السودان كانت دول الهوسا وإمبراطورية كانيم – بورنو من أهم الكيانات السياسية في تلك المنطقة.

إن التاريخ القديم لدولة الهوسا يشير إلى أنها تشكلت في عام 999م على يد الملك كانو حيث كانت تضم مجموعات صغيرة من المستوطنات تحولت فيما بعد إلى مدن ودول ، وكان أقوى جيرانها إمبراطورية كانيم – بورنو إلى الشرق ، وإمبراطورية السونغاي إلى الغرب.

وفي عام 1500 أصبحت زاريا أقوى دول الهوسا ، وكانت تسيطر لبعض الوقت على ممالك النوبة وجوكون بالجنوب ، ويذكر أن انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي بمناطق الهوسا أضعف البنية السياسية للسلطات المحلية التي كانت ترى بأن الإ سلام يشكل تهديداً لها ، وعلى أية حال فإن عملية الأسلمة لم تستبعد بشكل كامل المعتقدات الدينية التقليدية سواء بالمناطق الريفية أو المناطق الأخرى.

وبالنسبة لعلاقة قبائل الهوسا بالمستعمرين الأوروبيين ، فإن الوثائق تشير إلى أن الفرنسيين اعتمدوا على جنود الهوسا لمساعدتهم على السيطرة على جزيرة مدغشقر ، واستعان البلجيكيون بأفراد منهم للسيطرة على الكونغو ، في نفس الوقت استعان الألمان بتجنيد أبنائها وتجارها أثناء قيامهم بفتح الكاميرون حيث عمل هؤلاء كمرشدين لهم ، أما بريطانيا فقد قامت بدورها بتشكيل قوة شرطة من الهوسا بمستعمرتهم بلاغوس في عام 1863 ، حيث عملت هذه القوة على تحرير عبيد الهوسا ومنحهم الحرية كما تم منحهم أراضي بلاغوس حتى أصبحوا مجموعة ذات امتيازات خاصة ، وقد قام جنود الهوسا بمساعدة البريطانيين على إلحاق الهزيمة بالأشانتي بغانا عام1873/1874 ، فيما تم نقل العديد من غانا ، وبعد انتصار البريطانيين تم تجنيد عدد من أبناء الهوسا في الجيش الغاني.

العادات:

أصبح الإسلام هو الدين السائد بين قبائل الهوسا حيث تم نشره على يد المسلمين القادمين من شمال إفريقيا ومن مالي والدول المجاورة الأخرى ، علماً بأن الإسلام كان معروفاً لدى قبائل الهوسا منذ عام 1300 للميلاد لكن تأثيره ازداد مع تدفق المهاجرين والتجار إلى المدن والقرى . في البداية كانت قبائل الهوسا تنظر إلى الإسلام بعين الريبة حيث استمروا لفترة طويلة متمسكين بديانتهم التقليدية ، وفي عام 1400 للميلاد اعتنقه أهالي كانوا وكاتسينا ، ثم تعزز هناك على يد العلماء المسلمين لكن التحول الكبير نحو الإسلام حصل عام 1800 للميلاد حيث أعلن جميع ملوك الهوسا اعتناقهم للإسلام واعتبروه الدين الرسمي لدولهم.

وقد بذلت محاولات لنشر الديانة النصرانية من قبل أولئك المتمسكين بديانتهم التقليدية فقط ، ولكن من قبل التيار الإسلامي النامي بين القبائل ، ولم يتمكن المبشرون النصارى من التأثير على مناطق الهوسا إلا إبان الحكم الاستعماري فقط وخاصة في منطقة زاريا.

ويربي أهل الهوسا أبناءهم على التعاليم الإسلامية منذ الصغر ، فبعد إجراء الختان الذي يتم عادة في سن السابعة أو التاسعة يدفع بالأولاد إلى معلمي القرآن الكريم لحفظ ما تيسر منه ، علماً بان الكثير من الهوسا يخلطون بين الإسلام ومعتقداتهم التقليدية.

ويؤمن أهالي الهوسا بأن الشيطان قد يكون هو سبب المرض الذي يصيب الإنسان، ومن ثم يجب إجراء طقوس خاصة لطرده من الأجساد المصابة ، وفوق ذلك فإن أهالي الهوسا يؤمون بأن الشيطان يتشكل في أشكال مختلفة ، فهو يكون أحياناً على شكل رئيس متميز ، وقد يكون ذا لون أبيض أو مغبر ، كما يعيش بالجبال والغابات والماء.

أما في مجال الرياضة فتعتبر المصارعة والملاكمة من أهم النشاطات الرياضية التي يمارسونها في أوقات فراغهم ، حيث تبدو المصارعة أكثر شعبية في قرى الأقاليم الشمالية منها في المدن الكبرى ، وحتى يعتبر الشخص مصارعاً جيداً فلا بد أن يتدرب على هذه الرياضة ابتداء من سن 15 على يد مصارعين من ذوي الخبرات في مجال هذه الرياضة.

وتعتبر الموسيقي جزءاً حيوياً في حياة قبائل الهوسا ، وأمراً تقليدياً يلقى الدعم من قبل هذه المجتمعات ، وغالباً ما تقوم النساء بالغناء خصوصا في مواسم الجفاف.

وفيما يتعلق بملابس أهالي الهوسا وتصميمها ، فإنها تكون من نفس الأزياء التي تنتشر في غرب إفريقيا ولها تأثيرها الخاص على ا لملابس التي يرتديها الغانيون بشكل عام ، ويقوم اللباس التقليدي لنساء الهوسا على تنوع كبير في التصميم والنسيج و الزركشة ، ويتكون الزي النمطي للمرأة هناك من لفاع وبلوزة وربطة للرأس ورداء واسع يستخدم لتغطية الجسم والرأس فيما يعتمد حجم الزركشة على ذوق المرأة ودخلها ، أما الرجال فيلبسون الزي الفضفاض (العباءات) وقد كان هذا الزي أساساً مخصصاً للملك وكبار المسؤولين والأئمة ورجال الدين من قبل.

الزواج:

بالنسبة للزواج ، هناك قواعد محددة تحكم الزواج التقليدي لدى أهالي الهوسا ، فالزواج يتم وفق الشريعة الإسلامية ويتطلب إيجاباً وقبول الطرفين المعنيين ، ويتعهد الزوج بتحمل مسؤولية توفير الطعام ، والملابس والسكن لزوجته بحضور شهود على عقد الزواج ، كما يقوم بدفع المهر المتفق عليه علماً بأنه يجوز تزويج الأطفال لدى أهالي الهوسا خاصة في المناطق الريفية حيث يفضلون الزواج المبكر، ويمكن للمرء أن يتوقع رؤية طفلة في الخامسة أو السادسة من عمرها تنقل من بيت أهلها لتعيش في بيت زوجها.

وفي ظل هذه الظروف والعادات ، فإن آباء الأولاد من الأزواج يتحملون مسؤولية المحافظة على الأزواج الصغار ، وبالنظر إلى عادة الزواج المبكر هذه فإن بعض أهالي الهوسا يشجعون الزواج حتى بلوغ سن المراهقة حيث تستطيع الفتاة عند بلوغ هذا السن رفض أي زوج قد يختاره والدها .

عادات قبيلة الماساي

قبيلة الماساي والتي تعني بالعربية (القبيلة المرقّطة). تتوزع بين كينيا وتنزانيا .

فبالرغم من وحشيتهم وعيشهم في البراري والأدغال إلا أنهم مسالمون (إلى حد ما) مع السياح الأجانب ويسمحون بزيارة قراهم في الغابات مقابل رسوم مالية بسيطة.

إن أول من درس عادات هذه القبيلة الكابتن الألماني «موريس ميركر» في أوائل القرن العشرين وكتب كثيرا عن حياتهم وعاداتهم الاجتماعية وأرجع أصولهم إلى أحد شعوب بني إسرائيل التائهين في الأرض كما في قبيلة الفلاشا في إثيوبيا، ولم يناقش أحد من الأكاديميين هذه الافتراضات لكن أغلبهم لا يعتقدون صحة هذه الفرضية، وإلى الآن لا يعرف أحد أصولهم العرقية.

يعتقد أغلب أفراد قبيلة الماساي أن الإله «إنكاري» يعيش على فوهة جبل كلمنجارو البركانية، وأنه قد نزل من السماء وأنزل الأبقار معه ووهبها لأفراد هذه القبيلة، لذا يمكن فهم العلاقة الوثيقة بين أفراد قبيلة الماساي والأبقار كنوع من الاعتقادات الدينية.

يمكن تصنيف الذكور في القبيلة إلى ثلاث فئات وهي الأولاد والمحاربون والمسنون. وتتم مراسم الختان للذكور بين سن الثامنة عشرة والعشرين حيث يتم جمع ما بين 3 إلى7 أفراد معا، ويتم ختانهم جميعا ثم يخرجون إلى الأدغال ويلبسون ملابس سوداء ويلطخون أوجههم بأصباغ بيضاء لتعريف أفراد القبيلة بأنهم قد دخلوا إلى فئة عمرية أخرى وهي فئة المحاربين. تتميز فئة المحاربين باللبس الأحمر، والشعور المسترسلة الطويلة ويتقنون استخدام الرماح الطويلة، والأسهم والأسلحة الحجرية ولا يهابون الموت.

لقد حاربت هذه الشريحة الاستعمار البريطاني خلال الفترة بين عامي (1904م . 1913م) ولم يرضخوا لحكامهم الجدد، وأثاروا الكثير من المشكلات الأمنية للبريطانيين ودخلوا في حروب غير متكافئة إطلاقاً، بين الرماح والسهام البدائية من جهة، والمدافع الرشاشة الآلية من جهة أخرى، فقد دارت معركة في منطقة بحيرة »نيفاشا«، أبيد جيش ضخم غير منظم من قبيلة الماساي زاد على 3000 قتيل، ولم يقتل إلا جندي بريطاني واحد كما تشير بعض المصادر التاريخية.

لقد نقل المستعمر الأبيض مرضا معديا لهم وهو مرض«الحمى الصفراء» كما نفقت الكثير من قطعان الماشية والأبقار وتفشت الأوبئة و المجاعة بينهم، وبالتالي انكسرت شوكتهم بعد أن كانوا في ذروة قوتهم في منتصف القرن التاسع عشر.

بقيت الشريحة الثالثة من قبيلة الماساي وهم فئة المسنين الذين يحظون بتقدير من أفراد القبيلة لخبراتهم الطويلة في الحياة وحكمتهم، أما النساء فيحظين بمكانة المسنين الاجتماعية نفسها.

كان في استقبال أعضاء النادي العلمي السعودي زعيم القبيلة الذي يتميز عن غيره بارتداء قبعة من لباد الأسد(كما هو في كينيا) أو وضع قناع ريش النعام الأسود على الوجه (كما في تنزانيا) للدلالة على مكانته الاجتماعية وشجاعته ونفوذه. يميز نساء هذه القبيلة الحلي المصنوعة من الخرز على شكل حلقات بيضاء توضع على الرقبة، كما أنهن حليقات الرأس وحافيات الأقدام وآذانهن مثقوبة من الصيوان.

كانت طريقة ترحيبهن بأعضاء النادي رقصا فلكلوريا على شكل نصف دائري، حيث تخرج امرأتان من طرفي القوس لتلتقيا في منتصف المسافة وتضربا الأرض بقوة بأهازيج متقطعة تعبر عن سعادتهن لهذه الزيارة. أما محاربو القبيلة فكانوا يرقصون "رقصة الحرب الشهيرة" وهي عبارة عن تجمع قوسي حيث يقفزون عاليا محدثين دويا على الأرض بتمتمات غير مفهومة و«مخيفة إلى حد ما» كنوع من إظهار الرجولة، وقد يسقط بعضهم صرعا كما في رقصة «الزار» عند بعض القبائل العربية.

يرتدي محاربو القبيلة الرداء الأحمر وهناك عدة تفسيرات قيلت في ذلك، فمنها تميزهم عن أفراد القبائل الإفريقية الأخرى، أو لإخافة الحيوانات الضارية في الغابات أو لتغطية لون الدم في حال هجوم أحد الحيوانات المتوحشة، أو لتميزهم بسهولة في البراري والأدغال. تتميز قرية الماساي بوجود سور خارجي من أغصان الأشجار الشائكة لحماية القرية من الحيوانات الضارية ولها مدخل واحد.

وتتناثر الأكواخ على محيط السور الدائري وفي الوسط يتم جمع الأبقار معا. تحتوي القرية من الداخل على عدد من الأكواخ البدائية مبنية من القش وروث البقر والتي تجمع من أرضية الحظيرة المركزية وتقوم النساء ببنائها عادة، ومتوسط طول ضلع الكوخ حوالي 7 أمتار و ليس لها منافذ تهوية حيث تنام العائلة داخل هذا الكوخ مع الأبقار التي لا تسعها الحظيرة المركزية ورائحة تلك الأكواخ منتنة جدا بسبب بول وبراز الأبقار .

لا يستحم الرجال إلا نادرا وذلك عند تجمعات مياه الأمطار أو الأنهار ويشربون من تلك المياه غير النظيفة. يعتمد رجال القبيلة على النساء في إعداد الطعام وجلب الحطب، ويشعلون النار عن طريق حك غصنين جافّين وإشعال قش ونفخه ولا يعرفون طريقة الإشعال بالكبريت.

أما مراسم شرب دم البقر فيتم عن طريق إطلاق سهم على عرق في رقبة البقرة ويجمعون الدم في وعاء خشبي ويخلطونه مع الحليب ويصبح كوكتيلاً غنيا بالبروتين والحديد والكالسيوم وهو شراب تقليدي لديهم. من العادات الاجتماعية الغريبة أنهم قد يزوجون الفتيات قبل ولادتهن، كما يحق للرجل أن يتزوج إلى عشر زوجات معتمدا على عدد الأبقار التى يملكها. ولعل كثرة الزيجات لها سبب ما يبررها وهو كثرة الحروب القبلية بينهم وبين القبائل الإفريقية الأخرى مثل قبيلة «الكيكيويو» الذين يمثلون 20% من سكان كينيا.

إنهم قبيلة متخلفة عن ركب الحضارة التقنية، ويعلمون هذا ويتقبلونه ويرفضون تغيير نمط معيشتهم، لذا لا يمكنهم أن يوظفوا أو يداروا أو يحكموا أو أن يعملوا في غير رعي الأبقار والماشية.

عادات وتقاليد قبائل الزولو

قبائل الزولو اسم خَلّد في أذهان الكثير وحظي على اهتمام الباحثين لما لهذه القبائل من خصائص وميزات انفردت بها عمن سواها من سكان المعمورة، وللحقيقة نقول أن أول ما خطر ببالنا عند زيارتنا لجنوب إفريقيا وشد انتباهنا أن نزور هذه القبائل لتسليط الضوء على حياتها وعاداتهما وتقاليدهما فقمنا بزيارة لبعض قبائل الزولو في محافظة دربن في دولة جنوب إفريقيا وبالفعل وجدنا أن هذه القبائل تمتاز بنمط حياة يكاد يكون فر يدا من نوعه في عالم القرن الحادي والعشرين.

ويزيد عدد السكان من قبائل الزولو الذين يسكنون جنوب إفريقيا عن 10 ملايين نسمة وهم يعتبرون من سكان البلاد الأصليين.

لم يحدد باحثو التاريخ متى ظهرت الزولو كقبيلة ذات شأن بالتحديد على الخريطة السكانية لجنوب أفريقيا ولكنهم رجحوا بدايات وجودها الفعلي بعام 1620م وكانت أعدادهم 1700 شخص، تعرف أراضي الزولو بجمالها الرائع وتوجد في إقليم ناتال الذي تطل على البحر وتوجد بها سلاسل جبلية دائمة الخضرة وتنحدر منها سهول وغابات طبيعية نادرة الأشجار ويعتمد الاقتصاد الحديث لتلك المناطق على زراعة قصب السكر ويزورها السياح الراغبون في الوقوف على حضارة الزولو.

الدور السياسي للزولو

بعد خوضهم صراعا منظما وطويلا ضد سياسة الفصل العنصري ارتكب فيها الرجل الأبيض المذابح المروعة وحجر فيها إقامتهم على معسكرات الآبارتهيد البغيضة، حيث اخرجوا من المدن الأساسية إلى المناطق النائية، ولم يسمح لهم ببناء المدارس ومنعوا من الاختلاط بالبيض وكان ضمن النظام العنصري البائد تحديد إقامة وتواجد أفراد قبائل الزولو السود في المدن الرئيسية في جنوب إفريقيا بساعات محددة للعمل وخدمة البيض فقط وكانت الحكومة العنصرية آنذاك عهدت إلى إطلاق صفارات الإنذار التي تأذن بانتهاء تواجد السود في المدن الرئيسية وعليهم الخروج فورا قبل أن يتم تعرضهم للعقاب والمسائلة!

ومع نهاية تلك السياسة العنصرية في بداية التسعينات كان الزولو قوة سياسية مخضرمة لا يستهان بها ممثلة في حزب الحرية وجعلوا شعار الحزب الفيلة، أقر الزولو بأن حزب المؤتمر الأفريقي الذي برز فيه زعيم التحرر الأفريقي نلسون مانديلا لا يمثل مصالحهم القبلية لذلك هناك سجال بين الحزبين الكبيرين لا يخلو من العنف ولكنهم تعايشوا معا بعد انتخابات 1994م.

شكل الحياة:

يعيش الزولو حياة قبلية حلوة الملامح تمثل الأسرة فيها الكيان الأساسي حيث يعلمون فتيانهم منذ الصغر احترام من هم أكبر منهم سنا، ولكن فتيان الزولو لديهم صعبة المراس مع من يماثلونهم في العمر، يفرق الصغار منذ سن السابعة بعد احتفال تثقب فيه فتحة في الأذن وتوضع حلقة ذهبية كبيرة بها، فيذهب الفتيان لمساعدة آبائهم ورجال القبيلة في رعي الأبقار والماعز وعندما يشتد عودهم قليلا يصبحون مسؤولين عن حلب الأبقار والعناية بمشتقاتها وطوال تلك الفترة يتلقون دروسا قصصية عن بطولات القبيلة وعاداتها وعند سن الرابعة عشرة يفصل الفتيان من أسرهم ويزج بهم في كتائب المحاربين حيث يخضعون تدريبات قاسية تجعلهم مؤهلين لمواجهة الحياة، وعندما يتزوج فتى الزولو يفرض عليه حلق شعره إلا خصلة مضفرة في وسط الرأس عليها قرص معدني يميزه عن الأعزب من الرجال.

الفتيات عند سن السابعة يساعدن في تنظيف الخيام وجلب مياه الشرب ومساعدة الأمهات في طهي الطعام ويتعلمن حرف الجدات مثل صناعة السلاسل والحقائب من القش حيث يعتبر الزولو من أمهر الحرفيين الأفارقة في هذا الفن.

عادات وتقاليد عجيبة وغريبة:

وتمتاز قبائل الزولو بعادات عجيبة وغريبة كما حدثنا احد الأخوة المقربين من قبائل الزولو ومن هذه العادات أن الفتاة تتزوج عند سن 14 سنة.

وعندما تحمل المرأة عند الزولو يجب أن ترتدي قطعة من جلد الأيائل " الغزلان" شرط أن يصطاده زوجها بنفسه ويقوم حماها بإعداده ودبغه ولفه بعقد من النحاس يفك منه بعد ولادة الطفل ويعتقدون أن ذلك يجلب القوة والثروة للطفل القادم!

يسمح الزولو بتعدد الزوجات، ويدفع الرجل ما يشبه التعويض أو مهرا لوالد عروسه عبارة عن أبقار عند خروج الفتاة من بيت أهلها .ومن الجهل الذي تعيشه القبيلة :ممارساتهم الخاطئة والمتمثلة في أنه حال عقم المرأة وعدم تمكنها من الإنجاب ترسل شقيقتها لإنجاب طفل للرجل ثم تعود بعدها لوالديها!.

تجتمع القبيلة على احتفال الزواج في الليالي المكتملة القمر لأن ضعف ضوء القمر يجلب الفأل السيئ ويسير العريس وأهله في وسط راقص وصاخب لبيت العروس ولا يحضر والدا العروس احتفال الزواج بل أصدقاء العروس وهم يحملون أغراضها الخاصة على رأسهم ويجب أن تحضر العروس هدية لحماها، تبارك ساحرة القبيلة الزواج في طقوس خاصة.

شراسة في الحرب والقتال:

ويمتاز أبناء قبائل الزولو بشراستهم في القتال والحرب حيث يرتدي فرسان القبيلة تنورات من جلود الحيوانات التي يصيدونها وغالبا ما تكون من جلد الفهد ودرعا من المعدن المكسو بجلد القطط المتوحشة أو الأبقار وغطاء رأس ذو ذيل معدني.

وللألوان مغزى هام في حياة الزولو فاللون الأحمر يعني القوة ودفء المشاعر وانتظار الحبيب والأزرق يعني الولاء وتوارد الخواطر مع الحبيب والأبيض النقاء والأسود الاستعداد للبس تنورة الزواج السوداء والغضب والأخضر للشباب والوردي للبساطة والهدوء والفقر.

معتقدات جاهلية:

على الرغم من كون قبائل الزولو اعتادت على الإيمان بالتوحيد ولديهم الكثير من العادات والتقاليد التي تتوافق إلى حد كبير مع الديانات السماوية غير أنهم كانوا غارقين في اعتقادات وهمية منها إيمانهم بوجود أرواح وغالبا ما تأتي من أمواتهم وتهيم في الغابة التي كانوا يتقون شرها ويصورونها على أنها مخلوقات ضخمة كثيفة الشعر تقتل من لا يقدم لها القرابين!

وبخلاف ما هو شائع عن قبائل الزولو فان من عاداتهم الحميدة احترام الضيف إلى حد بعيد حيث ينظرون إلى السائح والزائر والضيف نظرة احترام وتوقير غير أن الأوضاع الاقتصادية الصعبة للغاية لدى الكثير من أبناء القبائل دفعتهم للتفكير في مجال السلب والنهب والجنوح إلى العنف.

وتتحاكم قبائل الزولو إلى الآن بنظام ملكي وعندهم طاعة عمياء لأمرائهم حيث يتمتع الأمراء والملوك بنفوذ واسع ومطلق إلى حد كبير.

غرائب تعدد الزوجات عند قبائل إفريقيا

على الرغم من أن تعدد الزوجات نظام مألوف لنا نحن العرب..حيث أصبح مثار نقاش في الآونة الأخيرة وانقسم الناس بشأنه بين اتجاهات ثلاثة : الاول يرى فيه نظاما فاسدا يهدر كرامة المرأة، ويفكك روابط الأسرة، ويلحق الأذى بالمجتمع، ومن ثم يجب إلغاؤه تماماً، وفريق يراه نظاما له من الأسباب ما يبرر الإبقاء عليه، وثالث يرى أن تعدد الزوجات حتى في صورته الراهنة ليس فيه ما يعيبه.

والشعوب الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى بدورها تمارس تعدد الزوجات لكن من خلال قواعدها الخاصة.

سبعة آلاف امرأة للملك "متيسا:

هل ترحب المرأة الإفريقية بأن يتخذ زوجها امرأة أخرى، وهل تحبذ أن تكون زوجة ثانية لرجل له زوجة أو أكثر، أم هل تقف من ذلك موقف نفور ومعارضة ؟

في الحقيقة ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال إجابة بسيطة، ذلك أن المعلومات عن موقف النساء بالنسبة لتعدد الزوجات تتعارض فيما بينها، فبعض الشعوب الإفريقية تدل على أن بعض النساء لا تمانع في اتخاذ زوجها امرأة أخرى، أو في أن تتزوج رجلاً له زوجة أو زوجات، بل يسرها أن يفعل زوجها ذلك.

فلدى "الكرو" في خليج غينيا تفضل المرأة كثيرا أن تكون إحدى الزوجات الاثنتي عشرة لرجل محترم على أن تكون الزوجة الوحيدة لرجل ليس لديه من قوة الشخصية أو المكانة، وتفضل كثيراً القدر الكبير من الحرية الذي تتمتع به بوصفها إحدى الزوجات الاثنتي عشرة على الرقابة المباشرة التي سوف تخضع لها بوصفها الزوجة الوحيدة في البيت.

وفي قبائل" الوريجا" ليس أفضل عند النساء من أن يكون عددهن بالغ الكثرة، فذلك دليل الثراء، ومن شأنه أن يقلل من أعمالهن .

أما عند "الموسى" فإن الزوجة الأولى ترغب رغبة عميقة في أن يتخذ زوجها أكبر عدد ممكن من الزوجات، لأن ذلك يزيد من سلطتها.

على العكس من ذلك تدل المعلومات المتوافرة عن عدد من الشعوب الإفريقية الأخرى أن النساء ينفرن من تعدد الزوجات، وتنظر إليه نظرة تنطوي على كراهية، فلدى "البامبوتي" وهم إحدى قبائل الأقزام في الكونجو لا تنظر النساء إلى تعدد الزوجات بعين الارتياح، بالنسبة للامبا (في روديسيا الشمالية) لا ترغب الزوجة مطلقاً في اتخاذ زوجها زوجة ثانية، كما تثير الزوجة الأولى كثيرا من المتاعب قبل أن يتمكن الرجل من إحضار أخرى.

أما عند قبائل" التونجا" فإن كثيرا من النساء يبدين كراهية عميقة لتعدد الزوجات قائلات :إن الزوجات اللاتي يتقاسمن رجلاً واحداً تكون بينهن دائماً غيرة ومشاجرات، وتتردد عبارة "أنه تعدد الزوجات" على أفواههن دائما بمناسبة الحوادث غير السارة. ويروى أن امرأة عجوزا أتت في إحدى المناسبات وهي ترتدي جلد ماعز طالبة من احدى السيدات الانجليزيات أعطاءها بعض الثياب ولما سألتها لماذا لا يقوم زوجها بكسوتها، أجابت نيابة عنها النساء الأخريات قائلات: "إنه تعدد الزوجات" وتزوج زوجها امرأة ثانية ولم يعد يعنى بها .

وروت هذه السيدة أيضا أنه في إحدى الليالي عند ما جيء بعروس شابة لرجل له زوجة من قبل أصغت جماعة من النساء إلى صوت قدومها وأخذتهن الرأفة بالزوجة الأولى قائلات: "إن هذه الليلة الأليمة لها، سوف تذرف الدموع، بينما يرقد زوجها مع زوجته الجديدة، إنه تعدد الزوجات".

ويروىعن أحد رجال "الومبا" الكيفية التي يتم بها عرض الزواج على فتاة، فيقول ان الراغب في الزواج يذهب لزيارة الفتاة التي يريد الزواج منها ويعرض عليها اقتراحه قائلا : "أريدك أن تكوني زوجة لي".. وتجيب الفتاة: "نعم، سيدي، أوافق طالما أنك تحبني حقيقة".. ويجيب الرجل "نعم، سيدتي، في صدق دون كذب، أحبك".. وعندئذ توافق الفتاة قائلة "أوافق إذن ما دمت تحبني، لكن تذكر أنني لا أريد أن أكون زوجة في بيت متعدد الزوجات، لأن تعدد الزوجات لا خير فيه للمرأة".. ويجيب الرجل "لا، لن أتزوج بأخرى مطلقا، أريد الزواج منك أنت فحسب".. وتوافق الفتاة قائلة "حسنا.. لنتزوج".

وعلى ذلك يبدو لنا أن موقف النساء من تعدد الزوجات ليس واحدا لدى جميع الشعوب الإفريقية.. فلدى بعض هذه الشعوب لا تمانع المرأة فيه، بل قد ترحب به وتسعى اليه، بينما لدى البعض الآخر تخافه المرأة وتخشاه، ومع ذلك يجب ان نلاحظ أنه تجب التفرقة بين موقف المرأة من رغبة زوجها اتخاذ زوجة ثانية، وبين موقف المرأة إزاء الزواج من رجل له زوجة أو زوجات..

فبالنسبة للمرأة التي يرغب زوجها في اتخاذ زوجة ثانية، هناك من الظروف ما قد يخفف من اعتراضها على رغبة زوجها، مثلا أن تكون عاقرا، أو أن تكون الزوجة الأولى، وبالتالي سوف تتمتع بمركز ممتاز بالنسبة لبقية الزوجات، ولن يضيرها كثيرا أن يتخذ زوجها زوجة أخرى أو أكثر.. بل يؤدي إلى تمييزها عن بقية الزوجات، هو الظرف الذي يبرز مكانتها السامية بالنسبة لهن. وإذا لم تكن هي الزوجة الأولى فلن يضيرها كثيرا أن يزيد عددهن واحدة أو اثنتين، بل ان لتعدد الزوجات أحيانا مزايا من وجهة نظر الزوجة بحيث لا تجد مانعا من أن يتخذ زوجها زوجة أخرى أو زوجات، وقد ترحب بتصرفه هذا بل قد تدفعه هي إليه..

ومن المزايا التي تجدها المرأة في تعدد الزوجات أنه يؤدي إلى توزيع العمل على عدد أكبر ويؤدي ذلك إلى الإقلال من نصيب كل منهن فيه.. ومن ثم تجد كل امرأة من الوقت ما تنفقه على شؤونها الخاصة.. ويسود بين الزوجات عادة نوع من التعاون، فتساعد كل منهن الأخرى في القيام بأعمالها المنزلية والأعمال الخاصة بالزراعة.. ومن شأن ذلك أن يسهل العمل أولا، وأن يجد نوعا من التأمين، ثانيا، بحيث إذا مرضت إحدى الزوجات أو أصابها عارض حال دونها والقيام بواجباتها حلت الأخرى محلها حتى تبرأ المريضة أو يزول العارض..

وتفضل المرأة أن يتخذ زوجها زوجة ثانية على أن ينغمس في علاقات مع نساء غير متزوجات.. تكون عادة باهظة التكاليف، ومن ثم تستنزف جزءا كبيرا من دخل الأسرة تحرم منه الزوجة وأولادها، دون أن تقابله مساهمة من جانب هؤلاء النسوة في زيادة دخل الأسرة، بخلاف الحال بالنسبة للزوجة.. فالزوجة لا تستتبع كل هذه النفقات فضلاً عن أنها تسهم في تنمية ثروة الأسرة، وترى المرأة في انغماس زوجها في علاقات خارج الزواج وجها آخر من الضرر.. حيث يسود الاعتقاد لدى بعض الشعوب (السوكوما مثلاً) بأن عدم وفاء الزوج يعرض حياة الطفل للخطر..

وفي جهات كثيرة من إفريقيا يعيش الناس في بيوت يبعد بعضها عن البعض الآخر، وتجد الزوجة نفسها وحيدة محرومة من جيران على مقربة منها وعندما يتخذ زوجها زوجة ثانية فإنه يوفر لها زميلة تخفف عنها الوحدة.

أما بالنسبة للفتيات ومدى استعدادهن للزواج من رجل متعدد الزوجات، فإن هناك اعتبارات معينة تحبب إلى الفتاة الزواج من مثل هذا الرجل، أو على الأقل تخفف من نفورها منه، من هذه الاعتبارات أن التعدد ينظر إليه بوصفه معيارا لثروة الرجل ونفوذه، ولذلك فقد تفضل الفتاة الزواج من مثل هذا الرجل على أن تكون الزوجة الوحيدة لرجل فقير مغمور، وتفضل الفتاة الزواج من رجل متعدد الزوجات إذا كانت حياته معهن تتسم بالاستقرار، ولا تفوح منها رائحة المتاعب والمضايقات، وبالتالي تفضل الارتباط بمثل هذا الرجل الذي دلت التجربة على صلاحيته كزوج على الدخول مع رجل غير متزوج في تجربة لا تعرف نتيجتها، وتنطوي بالنسبة لها على مفاجآت لا تسر، فضلا أن الفتاة تتوقع بزواجها من مثل هذا الرجل التمتع بحرية كبيرة نسبيا.. فهذه اعتبارات من شأنها أن تؤثر في توجيه رغبة الفتاة، وذلك طبعا في الحدود التي يسمح فيها لإرادتها بأن تكون حاسمة في أمر الزواج.

القواعد التي تحكم العلاقة:

نتكلم أولا عن عدد الزوجات، ثم عن مدى حق الزوجة في الاعتراض على رغبة زوجها اتخاذ زوجة ثانية، وأخيرا عن علاقة الزوج بزوجاته وعلاقتهن فيما بينهن..

فيما يتعلق بعدد الزوجات فلا يوجد شعبا من الشعوب الإفريقية في ظل ظروفها الأصلية يضع حدا أقصى لعدد الزوجات اللاتي يجوز للرجل الجمع بينهن .فللرجل، من الناحية النظرية على الأقل، أن يتزوج بأي عدد شاء من النساء، ومن الناحية العملية هناك من الشواهد ما يدل على أن بعض الإفريقيين قد استطاع أن يحصل على عدد كبير منهن.. إلا أن هذا الوضع لا يتحقق عادة إلا بالنسبة للملوك والأمراء والرؤساء..

بالنسبة "للأونيورو" انه من العار الشديد حتى بالنسبة للرئيس الصغير أن يكون لديه أقل من عشر إلى خمس عشرة زوجة، أما الفقراء فلديهم دائما ثلاثة أو أربعة ..

ان الرجال الأثرياء لدى النادي يحوز الواحد منهم عددا من النساء يصل إلى أربعين.. في حين اتخذ أحد رؤساء الباروتسي أكثر من سبعين امرأة. بالنسبة للمتابيلي يعتبر تعدد الزوجات هو القاعدة و متوسط عدد النساء اللاتي يحوزهن رجل واحد يتراوح بين اثنتين وعدة مئات.. ويقال ان العرف لدى الأشانتي كان يحدد زوجات الملك ب3333 بحيث لا يجوز له أن يجمع في حوزته أكثر من هذا العدد من النساء، وإن كان من الجائز أن يكون لديه أقل منه، كذلك يقال إن الملك "متيسا" أحد ملوك الباجندا المشهورين، كان لديه أكثر من سبعة آلاف امرأة.

وعلى الرغم من أنه لا توجد لدى الشعوب الافريقية قواعد تنص على حد اقصى للزواج من النساء، ولكن الرجل لا يستطيع التوصل إلى اتخاذ زوجات متعددات والإبقاء عليهن إلا إذا كان قادرا على أن يوفر لهن وسائل العيش التي يلزم العرف كل زوج بتوفيرها لزوجته، وعلى ذلك فالقدرة على الانفاق شرط اتخاذ زوجات ، أو على الأقل شرط لاستمرار بقائهن معه..

وربما يحول شعور الغيرة لدى النساء دونهن والموافقة على أن يكن زوجات اضافيات في بيت متعدد الزوجات، حيث ترفض المرأة الزواج من رجل له زوجة أو زوجات خوفا من أن تصبح حياتها معهن سلسلة من التعاسة والشقاء، وتحول خشية الرجل عواقب الغيرة بين الزوجات المتعددات دونه والتفكير في اتخاذ زوجة ثانية أو ثالثة، اذ تصبح حياته معهن متاعب مستمرة ومضايقات لا تنتهي بسبب المشاحنات التي تنشب بين زوجاته المختلفات أو بينه وبينهن نتيجة محاباته لإحداهن.

وحول مدى حق الزوجة في الاعتراض على التعدد فإن القاعدة العامة لدى الشعوب الإفريقية في هذا الخصوص هي أن اتخاذ زوجة أو زوجات أخريات يعتبر حقا للرجل لا دخل للمرأة فيه، فتعدد الزوجات لا يتوقف على إرادة الزوجة الأولى، إلا أن عددا من الشعوب الإفريقية يعترف للزوجة الأولى بحق معين بالنسبة لرغبة الزوج في اتخاذ زوجة ثانية.. وتتفاوت هذه الشعوب فيما بينها من حيث مدى هذا الحق.

فهناك شعوب تتطلب موافقة ة الزوجة حتى يتمكن الزوج من اتخاذ زوجة أخرى، مثل "الايفية" (إحدى قبائل أقزام الكونجو) حيث يخضع زواج الرجل من امرأة ثانية بعد موافقة زوجته الأولى. ويجب عند "الأشانتي" على الزوج الحصول على موافقة زوجته الأولى إذا رغب في اتخاذ زوجة ثانية.

شهر رمضان في السعودية

لرمضان في المملكة العربية السعودية جو روحاني خاص ربما لا يوجد في غيرها من بقاع العالم الإسلامي؛ وذلك لاحتواء تلك الديار على الحرمين الشريفين، وهما من المنزلة في قلوب المؤمنين بمكان .

والناس في المملكة يعتمدون على ما تبثه وسائل الإعلام بخصوص إثبات شهر رمضان، ووسائل الإعلام بدورها تتلقى خبر ذلك عن طريق الهيئات الشرعية والفلكية المكلفة برصد الأهلة القمرية. والعديد من دول العالم الإسلامي تتبع في ثبوت شهر رمضان إثبات المملكة له .

ومع ثبوت هلال رمضان تعم الفرحة قلوب الجميع في المملكة، وتنطلق من الأفواه عبارات التهنئة، من مثل قول: (الشهر عليكم مبارك) و(كل عام وأنتم) و(أسأل الله أن يعيننا وإياك على صيامه وقيامه) و(رمضان مبارك) .

وعادة أهل المملكة عند الإفطار أن يتناولوا التمر والرطب والماء، ويسمونه (فكوك الريق) وبعد وقت قصير من انتهاء أذان المغرب يرفع المؤذن صوته بالإقامة، فيترك الجميع طعامهم ويبادرون إلى الصلاة .

بعد الانتهاء من صلاة المغرب ينطلق الجميع لتناول وجبة الإفطار الأساسية، التي يتصدرها طبق الفول المدعوم بالسمن البلدي، أو زيت الزيتون، حيث لا ينازعه في هذه الصدارة طعام غيره، ولا يقدم عليه شيء.

وطبق الفول في المملكة ذو فنون وشجون؛ فهناك الفول العادي، والقلابة، وفول باللحم المفروم، والكوكتيل، والفول بالبيض، والفول باللبن. أما أفضل أصنافه فهو الفول المطبوخ بالجمر، والذي توضع فيه جمرة صغيرة فوق السمن، ويغطى بطبق آخر لإعطاء نكهة مميزة .

ومن الأكلات الشائعة التي تضمها مائدة الإفطار إلى جانب طبق الفول (السمبوسك) وهي عبارة عن عجين محشو باللحم المفروم، و(الشوربة) وخبز (التيمس) وغير ذلك من الأكلات التي اشتهر أهل المملكة بصنعها في هذا الشهر الكريم. وبجوار تلك الأطعمة يتناول الناس شراب (اللبن الرائب) وعصير (الفيمتو) .

وأشهر أنواع الحلويات التي تلقى رواجا وطلبا في رمضان خاصة عند أهل المملكة (الكنافة بالقشدة) و(القطايف بالقشدة) و(البسبوسة) و (بلح الشام) .

وقبيل صلاة العشاء والتراويح يشرب الناس هناك الشاي الأحمر، ويطوف أحد أفراد البيت – وخاصة عندما يكون في البيت ضيوف – بمبخرة على الحاضرين .

وهناك تقاليد لدى بعض العائلات بأن يعين إفطار كل يوم من أيام رمضان عند واحد من أفراد العائلة بشكل دوري بادئين بكبير العائلة .

بعد تناول طعام الإفطار يتجه الجميع – رجالاً ونساء – لأداء صلاة العشاء والتراويح في المسجد. وهناك بكل مسجد قسم خاص بالنساء. أما عن عدد ركعات صلاة التراويح، فهي تصلى عشرين ركعة في الحرمين، وفي باقي مساجد المملكة بعض المساجد تكتفي بصلاة ثمان ركعات، وبعضها الآخر يصليها عشرين ركعة. ويختم بالقرآن في أغلب مساجد المملكة خلال شهر رمضان. ويعقب صلاة التراويح في كثير من المساجد درس ديني يلقيه إمام المسجد، أو يدعى إليه بعض أهل العلم في المملكة .

والناس هناك يجتمعون عادة كل ليلة في أحد البيوت، يتسامرون لبعض الوقت، ثم ينصرفون للنوم، وينهضون عند موعد السحر لتناول طعام السحور، والذي يتميز بوجود (الخبز البلدي) و(السمن العربي) و(اللبن) و(الكبدة) و(الشوربة) و(التقاطيع) وأحياناً (الرز والدجاج) وغيرها من الأكلات الشعبية.

وتتغير أوقات العمل والدوام الرسمي في المملكة لتناسب الشهر الكريم، حيث تقلص ساعات العمل مقدار ساعة أو يزيد يوميا، مراعاة لأحوال الصائمين .

تنتشر بشكل عام في جميع أنحاء المملكة المناسبات الخيرية (البازارات) لجمع التبرعات والصدقات، وتوجه الدعوات للمساهمة في إفطار المحتاجين والمساكين، وتقديم المساعدات والمعونات لهم. كما يحرص أهل الخير على إقامة الموائد الرمضانية الخيرية، وتقديم الأطعمة على نفقاتهم الخاصة. أما الماء فيوزع في برادات مثلجة .

وبعد أداء صلاة العشاء والتراويح يعود الناس إلى مجالسهم وسهراتهم التي قد تدوم عند البعض – وخاصة الشباب منهم – حتى السحور. والسيدات يسهرن وحدهن في البيوت، والعادة أن تحدد السهرة عند واحدة مـ نهن في الحي أو الأسرة، ويكون ذلك بشكل دوري بين سيدات الحي أو القريبات أو الصديقات، ويسمى مكان السهرة (الهرجة). ومن أهم العادات الرمضانية في المملكة تزاور العائلات بعد صلاة العشاء .

في النصف الثاني من رمضان يلبس كثير من السعوديين ثياب الإحرام لأداء العمرة، أما في العشر الأواخر منه فإن البعض منهم يشد رحاله للاعتكاف في الحرم النبوي أو المكي .

وتبدأ صلاة التهجد في مساجد المملكة بعد صلاة التراويح، وتصلى عشر ركعات، يقرأ خلالها في بعض المساجد بثلاثة أجزاء من القرآن الكريم يوميا، وتستمر تلك الصلاة حتى منتصف الليل أو نحوه .

عد يوم السابع والعشرين من رمضان يبدأ الأهالي بتوزيع زكاة الفطر، وصدقاتهم على الفقراء والمساكين وابن السبيل، ويستمرون في ذلك حتى قبيل صلاة العيد .

وقد انتشرت في المملكة وبكثرة عادة طيبة، وهي إقامة موائد إفطار خاصة بالجاليات الإسلامية والعمالة الأجنبية المقيمة في المملكة، وتقام تلك الموائد بالقرب من المساجد، أو في الأماكن التي يكثر فيها تواجد تلك العمالة، كالمناطق الصناعية ونحوها .

شهر رمضان فى القارة الأفريقية

عادات وتقاليد ومذاق مختلف

يواصل المسلمون فى شتى أنحاء العالم الاحتفال بشهر رمضان المبارك الذى له مذاق خاص لدى الشعوب الأفريقية المسلمة التى لها طقوس وتقاليد وعادات تميزها عن باقى شعوب العالم بالرغم من المشاكل والنزاعات التى تعانى منها هذه الشعوب .

وبالإضافة إلى الفوائد الروحانية والمادية لشهر رمضان المبارك بالنسبة لجميع المسلمين فإن له أيضا قيمته الخاصة فى حياة الأفارقة اليومية .. ففى جزر القمر يستعد المسلمون لاستقبال شهر رمضان بدءا من شهر شعبان حيث يعدون المساجد فيشعلون مصابيحها ويعمرونها بالصلاة وقراءة القرآن الكريم خلال الشهر المبارك فتكثر حلقات الذكر وتلاوة القرآن الكريم كما تكثرالصدقات وأعمال الخير .. ومنذ الليلة الأولى من الشهر الكريم يخرج السكان حاملين المشاعل ويتجهون بها إلى السواحل ويضربون بالطبول إعلانا بقدوم رمضان وذلك حتى السحور .

وطوال أيام الشهر الكريم يتحول شعب جزر القمر إلى أسرة واحدة يجمعها نداء الآذان بالصلاة وخاصة مع آذان المغرب حيث يخرج أبناء الجزر من كل مكان متجهين إلى المساجد لأداء الصلاة ليبدأوا بعدها تناول الإفطار الذى يتكون عادة من وجبة خفيفة تختلف من منطقة إلى آخرى وتبقى وجبة "الثريد" من أهم الأطعمة الرئيسية على مائدة الإفطار ومائدة السحور بالإضافة إلى اللحوم والفواكه والحمضيات .

أما المشروبات فتشمل بصفة أساسية الأناناس وبعض الفواكه الأخرى .. وبالنسبة لوجبة السحور فيتناولون فيها الأرز مع اللبن والخضروات بالإضافة إلى أقداح الشاى الذى يحرصون على شربه فى وجبة السحور .

وبعد تناول وجبة الإفطار يستعدون للذهاب لأداء صلاة العشاء والتراويح وعقب الصلاة يجتمع أبناء القرية أو الحى شبابا وشيوخا فى حلقات يستمعون فيها إلى بعض الدروس والمحاضرات الدينية والتى عادة ما تدور حول فضائل الشهر الكريم وآداب الصوم .. بالإضافة إلى محاضرات دينية تقام يوميا بعد صلاة العصر طوال الشهر الكريم .

أما رمضان فى جنوب أفريقيا التى تتميز بالاختلاف العرقى الكبير من هنود وماليزيين وأندونيسيين وأفارقة تتنوع مظاهر الاحتفال بهذا الشهر المبارك من حيث تباين الأطعمة حيث يكثر الهنود المسلمون من استعمال التوابل الحارة فى إعداد الوجبات والمشروبات الهندية مثل الجانجوى والحريرية كنوع من العودة للجذور والحنين إلى الماضى .

ويحتفل مسلمو نيجيريا الذين يشكلون أكثر من 80 \% من السكان بتجديد كل شيء فى المنازل وتقام الحفلات الجماعية لدى القبائل الكبرى مثل "الجوريا "و"الأمالا " و"الأيباما" الذين يتبعون المذهب المالكى .. ولا يمتهن شخصية المسحراتى المتميزة فردا واحدا وإنما تتولى مجموعة "تسمى فرق الإيقاظ "بإيقاظ الناس لتناول وجبة السحور التى تسمى "التو" وهى عبارة عن صلصة الأرز والخضار والعصيدة ثم اللبن والشاى .

وفى دولة مثل النيجر (98\% من سكانها مسلمون) يتميز شهر رمضان بتلاوة القرآن فى المساجد بعد صلاة التراويح بالإضافة إلى الاستماع إلى التفسير والوعظ . وتتم صلاة التراويح فى كل قرية صغيرة أو كبيرة وبعد ذلك يواصلون تلاوة القرآن والصلاة فى البيوت إلى وقت السحور .

ومن العادات التى تميز شهر رمضان فى النيجر إيقاظ الصائمين بالقرع على الطبول قبل وقت السحور والتى يقوم بها المسحراتى الذى يطلق عليه فى النيجر (ميتاداموتانيه) . وبعد الإمساك تقل حركات الناس لتتواصل فى البيوت حيث يستمعون إلى الوعظ من الإذاعات المحلية المختلفة .

أما قبل موعد الإفطار يتم توزيع الطعام فى المساجد حيث يتم تمويل هذه الأطعمة من قبل بعض أثرياء القرية أو التجار .

وبالنسبة لليلة العيد تتميز باستعدادات صلاة العيد حيث يلبس الناس ملابس تقليدية فاخرة وخاصة عند الأطفال الذين يتزينون بأحسن ملابسهم ، ثم بعد الصلاة يزورون الأهالى والأقارب ويأتى لهم هدية المال تسمى "بركا دا سالا "أى هدية العيد . ومن خصائص العيد أيضا أن الأمهات تطبخن فى ليلة العيد لتكريم المهنئين بالعيد وضيافة الزوار من الأهالى ، وتتبادل الأسر توزيع الأطعمة بين الأهالى والجوار للاحتفال بيوم العيد .

وفى تنزانيا ، يستعد المسلمون لشهر رمضان منذ حلول نصف شهر شعبان من خلال تزيين الشوارع والمحال التجارية والمساجد بالأنوار وتزداد الزيارات العائلية من أجل التحضير لهذا الشهر الكريم ويهتم المسلمون التنزانيون بالصوم من خلال تعويد الأطفال على الصيام من سن 12 عاما ويعتبرون الجهر بالإفطار فى نهار رمضان من أكبر الذنوب وتغلق المطاعم أبوابها فى نهار رمضان ولا تفتح إلا مع صلاة المغرب .

ومن الوجبات المفضلة للتنزانيين هى التمر والماء المحلى بالسكر وطبق الأرز الملىء بالسعرات الحرارية والخضروات والأسماك التى يحصلون عليها من سواحلهم المطلة على المحيط .

وفى الكاميرون ، يحرص المسلمون على عادات جميلة وهى عدم غلق أبواب البيوت طوال شهر رمضان المبارك .. استعدادا لاستقبال أى صائم أدركه الأذان قبل الوصول إلى بيته ؛ فيدخل للافطار والتعارف على إخوانه من المسلمين الذين يمثلون نصف المجتمع على الأقل .

وشهر رمضان فى الكاميرون يتشابه مع كثير من عادات الشعوب العربية والإسلامية ؛ حيث أن التمر طبق أساسى على المائدة الرمضانية ، وإن كانوا يكثرون من تناول اللحوم فى هذا الشهر الكريم ؛ أما من حيث العبادات فإنهم يحرصون على إقامة صلاة التراويح فى المساجد الاثنى عشر الكبيرة فى العاصمة ياوندى التى تضم 3 ملايين ، ونصفهم على الأقل من المسلمين .

ويقيم ليالى هذا الشهر الكريم دعاة وأئمة من مصر والسعودية والكويت والمغرب وغيرها من الدول الإسلامية ، وأبناء الكاميرون أنفسهم الذين نالوا تعليمهم فى الأزهر الشريف ، وفى السعودية .

وكما هو الحال فى معظم الدول الأفريقية ، يعتبر شهر رمضان فى موريتانيا موسما خاصا ومتميزا .. حيث يعيش السكان فى أجواء احتفالية تعمرها المحبة والتسامح والتكافل الاجتماعى والاجتهاد فى الأعمال الصالحة .. فالموريتانيون يعتبرون إطلالة شهر رمضان مناسبة سعيدة تتيح لهم فرصة حقيقية للمسارعة فى عمل الخير ، ولعل أبرز مميزات شهر رمضان المبارك فى موريتانيا ذلك المديح بين العمل الروحانى الذى يعيد الإنسان إلى دائرة الرحمة وتذكر وحدانية الخالق والمواظبة على الشعائر الدينية .

ويبين العمل الخيرى الاجتماعى .. أن كل شىء خلال أيام رمضان يوحى فى موريتانيا بالانسجام والتكامل فحياة الناس فى الشارع والمسجد كما فى السوق وداخل البيوت تجعلك تحس إحساسا عميقا بالطمأنينة والارتياح لهذه الروح الإيمانية والتى تتجسد فى كل شىء فى الحياة العامة فى موريتانيا .

ويحرص الموريتانيون على أن يستقبلوا شهر رمضان بما يناسبه من استعدادات تعين على صيام نهاره وقيام ليله فتراهم يقبلون على الأسواق لشراء تلك المواد التى تستعمل أكثر من غيرها فى موائد رمضان .

وعلى مائدة رمضان الموريتانية تنقلب العادات الغذائية رأسا على عقب ويتغير فن الطهى لتمتزج الأصالة بالمعاصرة .. حيث تتداخل أطباق الأكلات الحديثة إلى جانب الوجبات التقليدية .. ولكن يبقى التمر والحساء المعد من حبوب الشعير والقمح والذرة والفول السودانى فى مقدمة الأكلات الرمضانية .

ويمثل شراب "الكركدية" أو ما يعرف محليا "بالبصام" الشراب المفضل لدى الموريتانيين .. كذلك هناك شراب "أزريك" المكون من الحليب الممزوج بالماء والسكر .. بالإضافة لبعض أنواع الحلوى .. أما فى السحور فيقوم بعض الفتية المتطوعين بالسير فى معظم الشوارع فيقرعون الدفوف لإيقاظ الناس للسحور .

ويهتم الموريتانيون اهتماما خاصا بإعداد موائد الإفطار الكبيرة (موائد الرحمن) والتى يدعون إليها كل محتاج وفقير وعابر سبيل كما يبعث كثير من الأسر المجاورة للمساجد بأوانى تحمل صنوفا مختلفة من مواد الإفطار ليفطر عليها الصائمون المتواجدون فى المسجد وقت آذان المغرب .. ومن العادات الغريبة التى يتبعها أبناء الشعب الموريتانى خلال شهر رمضان هى حلاقة شعر الرأس للرجال وأيضا الأطفال تيمنا بقدوم الشهر الكريم .

وبالرغم من عدم الاستقرار السياسى فى الصومال إلا أن الصوماليين يحرصون فى شهر رمضان الذى يسمى "صوت وانجستين" على طلاء منازلهم باللون الأبيض وتنفرد البلاد بعادة مميزة فى هذا الشهر المبارك حيث تحرص العروس المتزوجة حديثا على زيارة أهل زوجها كأول زيارة لها بعد الزواج وتبدأ الطقوس بخروج العروس من بيتها فى كامل زينتها ومتعطرة بأغلى العطور وتلتف حولها صديقاتها اللاتى يحملن المباخر ويزفون العروس مرددين الأغانى مصحوبة بالموسيقة الشعبية .

ويجتمع السكان فى الحى الواحد فى منزل أحدهم كل يوم بالتناوب خلال الشهر الكريم ويحرص الكبار والصغار على الذهاب إلى كتاتيب حفظ القرآن الكريم ويهتم الأطفال الصوماليون بشراء الفوانيس المصنوعة من نوع من الثمار يشبه القرع العسلى ويجوف لوضع الشمعة .. كما يتجول المسحراتى الذى يسمى" الصوماليو" فى الشوارع بالطبلة مرددا الأناشيد الدينية .

ومنذ عدة أعوام ، انتشرت ظاهرة بالعاصمة أنجامينا وضواحيها ، وأصبحت مرتبطة بقدوم شهر رمضان ؛ حيث يقوم الأطفال فى الشهر الكريم ببناء المساجد من الطين على أطراف الشوارع ؛ حيث يجتمع عشرة أو أكثر منهم لبناء مسجد ويقومون بأداء الصلوات ، وقراءة القرآن فى تلك المساجد الطينية .

ومن أشهر الأكلات فى الشهر الكريم فى تشاد هى المديدة وهى أكلة شعبية من الذرة المطحون كما تضم مائدة الإفطار لدى التشاديين مشروبات من بينها" إبرى" أو الحلو مر ، وهو يصنع من دقيق الذرة بعد خلطه بكمية من التوابل ، ويتم تخفيفه فى شكل رقائق عن طريق صاج من حديد بعد تعريضه للنار .

وعند الاستعمال يبل الآبرى بالماء كما يضم إفطار التشاديين ما يسمى ب "ألمى عطرون" وهو ماء فيه قليل من "العطرون" وقشرة الدخن وطحينة فول سودانى والزبادى ، وشوربة لحم وخضار ، وعصير الكركديه، وعصير الليمون ، هذا بالنسبة للمشروبات .. أما المأكولات ، فمن أهمها البلح العصيدة ويصنع من الذرة أو القمح أو الأرز الزلابية ، والبليلة .

أما فى العاصمة الإرترية أسمرا ، يتسابق الناس على إحضار المأكولات إلى المساجد كل أيام الجمع والاثنين رحمة على أمواتهم ابتداء من الخامس عشر من رمضان وتكتظ المساجد دائما بالمصلين رجالا ونساء وأول ما يقدم للصائم فى وجبة الإفطار "المديدة" الساخنة المخلوطة باللحم والكسرة العادية والعصيدة ويعود الناس إلى منازلهم بعد صلاة العشاء والتراويح لتناول العشاء الذى يتكون من أرز ولحم وشعرية وفى السحور يتناول الناس العصيدة والجبنة .

وفى جيبوتى ، يستقبل المسلمون هناك شهر رمضان بعادات وتقاليد متميزة بحكم موقعها الجغرافى والتاريخى وتراثها الحضارى تتمثل فى ذبح الذبائح وتوزيع لحومها على الفقراء والمساكين .. فبمجرد رؤية هلال شهر رمضان تظهر أضواء الألعاب النارية والتى تقيمها الدولة .

وتضاء منارات المساجد وتبث الإذاعة برامج مختلفة فيها ترحيب بقدوم الشهر .. تتخللها المدائح والأذكار الدينية ويلاحظ فى شهر رمضان ازدحام الناس فى المساجد للاستماع إلى شرح وتفسير القرآن الكريم .. وكثرة الدروس الدينية بعد صلاة العصر فى المساجد خاصة فى مسجد "الحمودى" وهو من أكبر المساجد فى جمهورية جيبوتى .

ومعظم الناس فى جيبوتى يفطرون على التمر ثم يصلون المغرب ويعودون بعد الصلاة لتناول طعام الإفطار وأول ما يقدم على مائدة الإفطار "السمبوسا" وهى عبارة عن دقيق يطحن ويتم خلطه مع اللحم .. أما وجبة العشاء فالصائمون يتناولونها بعد صلاة العشاء والتراويح .. وهى عبارة عن الأرز باللحم والشعيرية والمكرونة ويطلق على الشعيرية اسم "الباسطة" وعندهم أيضا ما يعرف" بالمرق" وهى عبارة عن شوربة خضار من البطاطس والطماطم وتشرب بعد تناول طعام العشاء مباشرة .. أما وجبة السحور فيتناولون فيها العصيدة مع اللبن الرايب .

وخلال العشر الأواخر فى رمضان يخرج الناس إلى المساجد للاعتكاف رجالا ونساء ليتضرعوا للعلى القدير بأن يعيد عليهم الشهر باليمن والبركات .. وبانتهاء شهر رمضان وقدوم عيد الفطر المبارك يقوم الناس هناك بذبح الذبائح ودعوة الزوار لتناول الطعام .. وهى تعبير عن الفرح بقدوم العيد .

وفى السودان ، يهتم الشعب السودانى باتباع التقاليد والعادات القديمة حيث تقوم مجموعة من الشباب فى بعض المناطق بالتجول وهم ينشدون بعض المقطوعات الشعبية الجميلة التى تدعو النائمين للنهوض لتناول وجبة السحور ولكن عادات أهل الريف فى السودان تختلف قليلا حيث يفضل الصائمون أن تقام مائدة الإفطار فى فناء أو أمام المنزل من أجل استقبال الضيف الذى يمر ساعة الإفطار ودعوته لتناول الطعام مع الأسرة .

يذكر أن الإسلام قد انتشر فى أفريقيا بين القرنين الأول والثانى الهجرى الموافق للقرن السابع أو الثامن الميلادى مع عقبة بن نافع الفهرى فى سنة 46 هجريا الموافق 666 ميلاديا عندما دخل فى منطقة الكاوار فى صحراء النيجر وبالتحديد فى منطقة شاميدور . وبعد هذه الفترة شهدت منطقة غرب أفريقيا انتشار الإسلام مع المرابطين الذين دخلوا فى أفريقيا فى القرن الخامس الهجرى الموافق للقرن 11 الميلادى تحت قيادة عبدالله بن ياسين ثم انتشر الإسلام فى أفريقيا عن طريق قبيلة الوانغارا فى مالى فى القرن السادس الهجرى الموافق للقرن 12 الميلادى . فهذه هى المراحل الثلاث التى تم بها انتشار الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء عامة وفى منطقة غرب أفريقيا خاصة .

ومن يتتبع تاريخ انتشار الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء سيرى مدى تأثر الأفارقة بالدين الحنيف حيث أصبح الإسلام يسود شئون حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

بعض العادات والتقاليد الغريبة عند القبائل الإفريقية

قبيلة جوبيس

رجال هذه القبيلة لا يحبون ثرثرة النساء لذا فإنهم يجبرون نسائهم عند الزواج بثقب لسانها حيث يوضع فيه حلقة مستديرة كخاتم الخطوبة – من البدع التي بدأت تنتشر في أوساطنا وللأسف – ويوضع في الحلقة خيط طويل يمسك الزوج طرفه فإذا ما ثرثرت وأزعجت زوجها يكفيه بشدة واحدة من هذا الخيط أن يضع حداً لثرثرتها وكثرة كلامها!!! تريدون الصراحة لا بأس باستخدام هذه الفكرة أحيانا!!

قبيلة الهوتنتوت:

فتيات هذه القبيلة يضع ضفائرهن الرفيعة أمام أعينهن حتى يصبن بالحول!! فالحول في نظرهن أساس الجمال!! يا عيني!!

قبيلة الهوريدو:

يعتبر شعر المرأة عورة، ولا يجوز إظهاره فإذا ما أظهرت المرأة شيء منه أمام الناس أو خلعت غطاء رأسها، فكأنها قد حكمت على نفسها بالموت، وعلى الفور يصدر أمر القتل!!! رأيتم وسطية الإسلام!!

قبائل الكبسنجية:

عندما تلد المرأة في إحدى قبائل الكبسنجية في كينيا تلزم كوخها ثلاثة أيام إذا كان المولود أنثا!! وأربعة أيام إذا كان ذكراً!!

كذلك فإنها تجبر لمدة ستة أيام بعدم لمس أي شيء!!!

أما بخصوص الطعام فإنها تتناول طعامها بطرف عصا!! وفي اليوم السابع تحلق رأسها وتعود إلى حياتها!! عرفنا قبائل تغنوا بالشعر وقبائل تجزه جزاً

في موريتانيا

أم الزوجة ووالدها لا يحضران عرس أبنتهما !! وليس الأمر عند هذا الحد بل يتجاوز هذا بكثير فإن الزوج يمنع من رؤية والد ووالدة زوجته مدى الحياة !! ولو دخل في مجلس وكان أحدهما موجود فإنه يخرج على الفور!! وهذا من شدة الحياء!! بل قلت حياء!!

وهذه العادة يبدو أنها مأخوذة من الزنوج حيث تكثر مثل هذه العادات في غرب إفريقيا !! والمصيبة أو بلاش!! أو اسمع،،، المرأة الموريتانية هي المسيطرة!! بل إن اقتصاد البلد بيد النساء!!

وأصبح من الطبيعي أن يكتب بعقد الزواج [لا سابقة ولا لاحقه]!! يعني تشترط المرأة في الزوج أن لا يكون قد تزوج ولا يتزوج ثانية!! ومن الغرابة أيضا أن الموريتانية لا تخدم الزوج بل هو يخدم نفسه!! ولا تنجب له سوى طفلين على الأكثر هذا عند العرب!!

قبائل السنتال:

في السنغال يطلق على العازب الذي يقدر على الزواج ولا يتزوج وصف [لا رجل] وتضعه في مرتبة بعد اللصوص أو السحرة!!

قبائل الرورو:

تبدأ مراسم الزواج عندهم بهجوم شبان من أقارب العريس في يوم العرس بيت الفتاة تختلط فيه صيحات الغضب وتفر العروس من بيت أهلها هاربة فيلحقها هؤلاء حتى يقبضون عليها ثم تقع معركة بين أقارب العريس والعروس!!! [لا عادت عليه من عرس] ولكن كل هذا الأمر تمثيل في تمثيل لكنهم يقولون أنه كان في السابق حقيقة فانطبع كعادة في الزواج!!

الصومال:

جرت العادة في الصومال أنه أثناء الاحتفال بالزواج يقوم الرجل الصومالي يضرب زوجته المسكينة قبل أن يجلس بجوارها لاعتقاد أنه سيكون السيد المطاع في البيت !! هذه المراجل!!

والغريب أن الصوماليين ينتشر عندهم التعدد فتجد الشاب عمره 19 عاما ولديه زوجتين أو ثلاث!!

غينيا

في مدينة بابو الغينية هناك عادة غريبة جداَ في الموافقة على الزواج!! فإن العروس تسبح في بركة ماء فإذا قدم لها أحد الحاضرين قطعة ثياب تكون قد أعجبته وارتضاها زوجة له، فتتناول القطعة وتصبح على الفور زوجته!!

قبيلة الهوسا:

هذه القبيلة ينتشر عندهم التعدد بشكل غير طبيعي كيف!! هم يعتبرون الرجل الذي لا يتزوج أربع من النساء ليس برجل وهو ناقص ويحتقر !! لدرجة أنهم يقعون في محظور خطير يؤدي لاختلاط الأنساب وضياعها !! فإن الرجل إذا طلق الرابعة يتزوج أخرى من غده أو بعد أيام تعلمون ما هو المحظور هنا أم لا !! المحظور أن الرجل له عدة!! ويتزوج وهو لم ينتهي من عدته!!

الرجل له عدة وذلك في حالتين:

الأولى: إذا كان لدى الرجل أربع زوجات طلق إحداهن فإنه لا يحل له الزواج من أخرى حتى تطهر زوجته المطلقة وبعد ذلك يحق له الزواج!! والحكمة من ذلك إن زوجته المطلقة إن كانت حامل فلا يقع الطلاق وزواجه من أخرى يعني أنه متزوج بخمس .

الثانية: إذا تزوج الرجل بأخت مطلقته أو من في حكمها والعلة حتى لا يكون قد جمع بين الأختين إن تبين عند الأولى حمل!! فلا بد من أن تنتهي عدتها أٌقصد عدته!!

قبائل اليوربا:

وهم سكان جنوب نيجيريا ونسبة المسلمين تقريبا 75 % ومع ذلك فلا فرق فيما سأذكره بين المسلم وغيره هنا!! في أحد أيام السنة تخرج كل فتاة ترغب بالزواج لتقف عند بيت أهلها بكامل زينتها !! ويمر الشبان بهن ومن تعجبه فتاة بعينها يدخل عند أهلها ويقيم في بيتهم عاما كامل يتعامل مع الفتاة كأنه زوجها!! وبعد عام إذا حملت الفتاة تم عقد الزواج !! وإن لم تحمل فتنبذ وتصبح بلا زوج لأن الفتاة يعتقد بأنها تحمل روحا شريرة فلا يقترب منها أحد!! .

المصادر والمراجع

- علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي – القاهرة – الطبعة الأولى– 1368هـ=1948.
- ألبير عياش: المغرب والاستعمار "حصيلة السيطرة الفرنسية" – ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي – دار الخطابي – المغرب – 1985.
- روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين – ترجمة نقولا زيادة – دار الثقافة –بيروت –1963.
- محمود شاكر : التاريخ الإسلامي "بلاد المغرب" – المكتب الإسلامي – دمشق – الطبعة الأولى – 1991.
- احمد نجم الدين فليجة،أفريقيا ، مؤسسة شباب الجامعة ،(لا توجد رقم الطبعة أو التاريخ) .
- س .ج . سليجمان ، السلالات البشرية في أفريقيا، مكتبة العالم العربي ، القاهرة ،1959 .
- محمد عوض محمد ، الشعوب والسلالات الأفريقية ، الدار المصريه للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1965 .
- محمد السيد غلاب ، تطور الجنس البشرى ، مكتبة الأنجلو المصريه ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1970 .
- خيري عبد الحافظ بدير ، التنشئة الأجتماعية والتعليم عند قبائل البجه فى السودان ، دراسة فى الأنثروبولوجيا الأجتماعية ، دكتوراه ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، القاهرة ، 1995 .

- محمد عبد الغنى سعودى ، المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1982 .
- إبراهيم عبد المجيد محمد ، الحبشة فى ضوء الوثائق الأمريكية ، دار العلم والأيمان ، بنى سويف ، 2001 .
- توفيق الحسينى عبده ، الرعى كأسلوب للحياة فى الصومال ، دراسة فى الأنثروبولوجيا الأقتصادية ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، القاهرة ، 1988 .
- حمدى السيد سالم ، الصومال قديما وحديثا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الجزء الأول ، 1965 .

- http://billygambelaafroasiaticanthropology.wordpress.com
- http://badgals-radio.com/2009/11
- http://www.absoluteastronomy.com/topics/Makuria

فهرس